الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة

كليــة الآداب واللغـات
قسم اللغة والأدب العربي

الوطن في رواية "نوار الملح" لعبد الغني زماني
بحث في قضية الهوية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: ادب جزائري

إعداد الطالبتين:
- امينة حمايدية
- فوزية مزيان

إشراف الأستاذ:
– د/ حورية بن عتو

السنة الجامعية:2018-2019

الإهداء

إلى من سهرت على تربيتي و غمرتني بحبها و حنانها، إلى أمي حفظها الله

إلى من علمني كَيف أصنع من حلمي صراطا و من حياتي نبراسا لتحقيق أهدافي

إلى أبي حفظه الله

إلى أشقائي و شقيقاتي، إلى كل صديق و قريب كان معي يوما بالنصيحة و الإصغاء

إلى كل من أمد لي يد العون من قريب أو من بعيد فلهم مني كل المحبة و العطاء

إلى كل من أحبهم قلبي و نسيهم قلمي

أهدي ثمرة جهدي

فوزية

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

إلى الذي كلت أناملة ليقدم لي حياة سعيدة و هنيئة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق الفلاح و السداد إلى القلب الكبير

والدي

إلى من أرضعتني الحب و الحنان

إلى من كانت و مازالت لي السّند المتين و الدرع القوي في حياتي

إلى القلب الحنون و الركيزة التي استند عليها

إلى

والدتي العزيزة

أمينة

شكر و عرفان

إلى كل من كان له الفضل في مساعدتنا على انجاز هذا البحث المتواضع

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة:

حورية بن عتو

التي كانت نعم السّند و المعين في بحثنا هذا

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر و الامتنان

إلى جميع أساتذة قسم الآداب و اللغة العربية بجامعة الجيلالي بونعامة

الذين تلقينا عندهم مبادئ البحث العلمي غبر كامل مشوارنا الدراسي

و نهلنا منهم أدب الحياة لما يبذلونه في سبيل العلم و المعرفة .

تحية شكر و تقدير لكل هؤلاء

مقدمة:

يعد الخطاب الروائي من الأشكال الأدبية الأكثر استيعابا لمظاهر التعبير و المعرفة في كل مجتمع، ذلك لما يحتويه من فضاء واسع يقدم للقارئ كمّا معتبرا من المعرفة و الثقافة، فضلا عن الجانب الفني الذي يجعلنا نتمتع بالجمال من خلال البناء السردي و التداخل الزماني و المكاني.

كل هذه الاعتبارات جعلته يتميز عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، خصوصا أنه شديد الصلة بالمجتمع و ذلك في إبراز الواقع على جميع المستويات، فقد حظي بمكانة ضمن الدراسات النقدية الأدبية.

شغلت القضية الجزائرية بال الكثير من النقّاد و المبدعين بعدما تسللت إلى يوميات المواطن الجزائري الإنسان و كان ذلك كافيا لتتخذ مادة دسمة استهلكت في العديد من الكتابات و بهذا كانت في معظمها سياسية طمست الكثير من الخصوصيات و همشت العديد من القضايا السائدة آنذاك أهمها " صورة الوطن في الرواية الجزائرية ".

قد استقر اختيارنا على رواية " نوار الملح " ل عبد الغاني زهاني.

و من خلال دراستنا و اطلاعنا و قراءتنا لهذا الموضوع وقفنا على مجموعة من التساؤلات و الإشكاليات و هي:

- ما المقصود بالوطن و الوطنية ؟
- ما مفهوم الهوية ؟
- فيما تمثلت صورة الوطن في الرواية ؟
- كيف كانت تمظهرات الهوية في رواية نوار الملح ؟

و للإجابة على هذه التساؤلات قسمنا بحثنا إلى مدخل و فصلي.

أما المدخل الموسوم (تحديد المصطلحات) قسّمناه إلى عنصرين:

بدأنا بتمهيد حول الوطن و الوطنية، ثم مفهوم الهوية.

- الفصل الأول جاء معنونا ب (صورة الوطن في رواية نوار الملح)

تطرقنا فيه إلى: صورة المدينة الوطن، صورة الوطن الرمز، صورة المرأة الوطن.

أما الفصل الثاني فعنوناه ب (دلالة الهوية في رواية نوار الملح)، تطرقنا فيه إلى: الهوية و الأنا، الأنا و الآخر، الأنا و المجتمع .

من الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع الميل إلى الفن الروائي أكثر من الشعر، إضافة إلى كون الثورة و صورة الوطن موضوع ثري و مؤثر حيث أن هذا النوع من المواضيع يتناول مخلفات الاستعمار و آثارها في نفسية الجزائري خصوصا والمستعمر عموما.

و كغيرنا من الباحثين اعترضتنا مجموعة من العوائق أهمها:

صعوبة الحصول على مصادر و مراجع في مكتبات خارجية، إضافة إلى صعوبة الدراسة التي احتاجت منا جهدا مضاعفا، دون أن ننسى الوقت الذي داهمنا سريعا.

و فيما يخص منهج الدراسة فقد اعتمدنا المنهج البنيوي القائم على الوصف و التحليل، إذ رأيناه الأنسب لإبراز دلالات الوطن الموحية في الرواية.

و في عجالة لا يسعنا سوى أن نتقدم بالحمد لله سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك لا ننسى أن نتقدم بالشكر، وأن ننوه بكل من أمد لنا يد العون والمساعدة و الاهتمام والنصيحة و من ضمن هذه المجموعة نشكر بالخصوص الأستاذة المشرفة على بحثنا السّيدة " حورية بن

عتو " والتي لم تبخل علينا أولا بالتشجيع على الكتابة في الموضع ثم النصيحة ثانيا، ثم الإبانة والتوضيح ثالثا، و التقويم أخيرا الذي دفع هذا البحث إلى نهايته.

و أخيرا نأمل بإذن الله أن نكون قد وفقنا في دراستنا لهذا الموضوع تنظيرا و تطبيقا و كل ذلك بأمر الله فهو خير حافظ و ما توفيقنا إلا به و هو المستعان.

I. مدخل إلى تحديد المصطلحات:

1- ماهية الوطن والوطنية:

حب الوطن من الإيمان، نما بنموه، وتطور بتطوره، كما له معنى وأثر في أعماق النفوس، فلا بد أن يكون حاملا للقيم الإيجابية من أجل تحقيق الحرية والاستقرار والأمان.

و نستوضح فكرة الوطن و المواطنة عن طريق البحث في جذور التاريخ و أصول هذه الكلمات في اللغة العربية، و ماهية أصولها في ثقافتنا و عالمنا العربي و الاختلافات التي طرأت على هذه المصطلحات و طريقة ارتباطها بالثقافة العربية السائدة.

الوطن، الموطن، الوطنية، كلمات تبقى متأصلة في النفس البشرية، لما تحمله من دلالات الانتماء و الهوية، لما لها من وقع و أثر و مغزى على وجدان أصحابها مما جعلها تغوص في دواخلهم فتسري مسرى الدم من العروق فيهم.

و للمفكرين تعاريف و آراء متعددة حول الوطن، حيث يعرفه ابن منظور في لسان العرب بقوله: " المنزل يقيم به، و الجمع أوطان و أوطان الغنم و البقر مرابطها و أماكنها تأوي إليه، و توطنت هذه البلاد أي جعلتها موطنا لي " [1].

و جاء في المنجد: " الوطن مقر الإنسان الذي ولد فيه، الوطن الأم هو الوطن الأصلي موضع الولادة، نقول: عاد المهاجر إلى الوطن الأم " [2].

من خلال هذين التعريفين يمكننا ملاحظة أن مصطلح (الوطن) في اللغة العربية القديمة لم يكن مرتبطا بالمشاعر بقدر ما كان مرتبطا بالمكان المؤقت و يقول الشيخ عبد الله العلائلي في هذا الصدد: " خاصة العرب هي القبيلة بحكم البيئة، أما القومية فلا تقوم إلا

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1،مادة (و، ط ن)، ص:239.

[2] صبحي الحموي: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2002، مادة، (و، ط، ن) ص: 1539.

في مجتمع زراعي، و كذلك فإن العمل في الأرض بالزراعة باعث لكل شعور بالوطن إذ يورث الإنسان عشقا مبهما للأرض التي تهبه كل ما يحتاج إليه من مقومات الحياة "[1].

و بهذا يمكننا القول بأن الشعور الوطني يتغير من مرحلة لأخرى فكان بذلك المفهوم القديم للوطن مرتبطا بالعرب الرحّل، الذي نشأ عبر ارتباط العرب بأرضهم أي أنه مجرد مكان و مأوى للعيش، أما المفهوم الحديث للوطن لم يعد مجرد تاريخ و جغرافيا بل أصبح مكونا للذات و مساهما عضويا في خلق الأنا و الآخر.

فإذا كان الوطن في معاجمنا اللغة العربية " هو مكان الإنسان و مقرّه، و إليه انتماؤه "[2] فلا بد أن يكون حاملا للقيم الإيجابية التي تجعل هذا التمسك بهذا الجزء من الانتماء قويا، كما تطلق يد الأدباء من المؤمنين بالقيم الإنسانية من الحدود الضيقة و القيود الإقليمية لتصبح الوطنية عالمية طليقة، لا تعرف إلا الحق و العدل و لا تستنكر إلا الظلم و الاعتداء [3].

و الوطنية هي تلك العاطفة القوية المتأججة في الأعماق التي تربط الإنسان بوطنه و تهزّه تلهفا إليه و شوقا كلما بعد عنه، و تدفعه إلى الذود عنه و التضحية في سبيل حياته و كرامته، و هي من النزاعات الفطرية التي لا تستطيع أية قوة أن تمحوها أو تقضي عليها [4].

و به تكمن صفة الوطنية هي إخلاص الحب و التضحية للوطن [5].

و بالتالي تعد الوطنية خصلة نفسية للمواطن الصالح الذي يحب وطنه و يفضله عن نفسه و ذويه.

---

(1) عبد الله العلائلي، مقدمات لفهم التاريخ العربي، د م، د ط، ص:10.

(2) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط 2008، المجلد 3، ص:2463.

(3) إيمان بقاعي، القيم الروحية و الإنسانية في شعر عبد العزيز محي الدين خوجة، قناديل للتأليف و الترجمة و النشر، لبنان/ ط2004،1 ،ص:133-134.

(4) محمد الصالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط10، ص: 188.

(5) جبران مسعود: الرائد معجم ألفبائي في اللغة و الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2005، ص: 985.

يقول الشيخ الغزالي في الوطنية: " إن الإسلام لا يكره الوطنية و لا يكره القومية فالوطنية نزعة إنسانية تجعل كل امرئ يحب التراب الذي درج عليه و الجو الذي عاش فيه " و في الحديث (خيركم الدافع عن عشيرته ما لم يأثم)، فنحن لا نكره جنسنا لأننا مسلمون بل ديننا يأمرنا أن نحب، و أن نرحم و أن نعدل و أن نكون منصفين فيما نزاول أعمالنا [1].

و بهذا كانت الوطنية مرتبطة بالدين ارتباطا وثيقا، فهذا العنصر الأخير يدفع إلى التضحية و الفداء في سبيل الوطن، فيتحد وجود الفرد بوجود الشعب، و وجود الشعب بوجود الوطن و عليه فإننا نجد الإسلام ميزته مجموعة من المبادئ هي: التوحيد و هو سبيل القوة و الإيخاء و هو سبيل التعارف، المساواة و هي سبيل العدل و الحرية و هي سبيل الكرامة و البر و السلام و هو سبيل الرخاء و كل هذه المبادئ موجودة في القرآن الكريم بالنصوص الصريحة حيث يقول الخالق جلا و علا في هذه الآية الكريمة: " و لو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ... " [2].

ففي هذه الآية الكريمة قرن الله تعالى الرحيل عن الوطن بالقتل باعتبارهما متقاربان فالجسم دار الروح، و الوطن دار الجسد، فلا غرابة أن يتساوى خروج الإنسان من وطنه و خروج روحه من جسده، في عدم القدرة على الاحتمال و العجز عن التنفيذ.

فالإنسان منذ طفولته يحب بيته و أهل بيته لما يرى من حاجته إليهم و استمداد بقائه منهم و ما البيت إلا الوطن الصغير، فإذا تقدم شيئا في سنه اتسع أفق حبه و أخذت تتسع بقدر ذلك دائرة وطنه، فإذا دخل ميدان الحياة و عرف الذين يماثلونه في ماضيه و حاضره و ما ينظر إليه من مستقبله، و وجد فيهم صورة بلسانه و وجدانه و أخلاقه و نوازعه و منازعهم شعر نحوهم من الحب بمثل ما كان يشعر به لأهل بيته في طفولته و لما فيه من غريزة حب الذات و طلب البقاء و هؤلاء أهل وطنه الأبي و محبته لهم في العرف العام هي الوطنية، فإذا غذي بالعلم الصحيح شعر بالحب لكل من يجد فيهم صورته الإنسانية و كانت

---

[1] محمد الصالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية، ص373.

[2] سورة النساء الآية: 66.

الأرض كلها وطنا له و هذا وطنه الأكبر، فلا يعرف و لا يحب الوطن الأكبر إلا من عرف حب الوطن الكبير، و لا يحب الوطن الكبير إلا من عرف و أحب الوطن الصغير [1].

الوطن هو الوطن الكلي و أن وطنه الأسري جزء من الوطن الأكبر، و أن كل شيء يهون إلا سلامة الوطن و عزة المواطنين لأنه أغلى من الحياة و المال [2]، فالوطنية قد تكون ضيقة الأفق في نفس الوطني إلا أنها سرعان ما تتسع أكثر فأكثر لتشمل العالم كله و الإنسانية جميعها، فهي بذلك تحافظ على الأسرة بجميع مكنوناتها و على الأمة بجميع مقوماتها، و تحترم الإنسانية على اختلاف أجناسها و أديانها، فهذه هي وطنيتنا –معشر المسلمين– و وطنية كل مسلم في إسلامه و وطنيته، و استنتاجا لما سبق فإن الوطن و الوطنية كلمة عظيمة لا يستطيع أحد أن ينطق بها، و قليل جدا من يشعر بمعناها، و إن كان ذلك المعنى دفينا في كوامن النفوس ككل غريزة من غرائزها، لا سيما في أمة تنتسب إلى العروبة و تدين بالإسلام مثل الأمة الجزائرية ذات التاريخ المجيد أما اليوم و قد صارت كلمة الوطن و الوطنية سهلة على كل لسان و قد يقولها قوم و لا يفقهون معناها، و قد يقولها آخرون بألسنتهم و لا يستطيعون أن ينتسبوا لها في المكتوب من رسمياتهم و يفرغ منها من يتخيلون فيها ما يعرفون في وطنياتهم و ينكرها آخرون زعما منهم أنها ضد إنسانيتهم و عمومياتهم [3] إذن فالحق فوق كل أحد و الوطن قبل كل شيء.

---

[1] محمد الميلي، ابن باديس و عروبة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص: 174–175.

[2] محمد الدالي، الأدب المسرحي المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1419هـ–1999م، ص: 251–252.

[3] محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، ص:174.

2- ماهية الهوية

تعتبر الهوية موضوع إنساني خالص، فالهوية خاصة بإنسان و المجتمع أو الفرد و الجماعة، فالإنسان هو الذي ينقسم على نفسه، و هو الذي يشعر بالمفارقة أو التعالي أو القسمة بين ما هو كائن و ما ينبغي أن يكون، فالهوية تعبر عن الحرية الذاتية[1].

الهوية إذن على الرغم من أنها موضوع ميتافيزيقي فإنها مشكلة نفسية و تجربة شعورية فالإنسان يكون متطابقا مع ذاته، فالهوية ليست موضوعا ثابتا أو حقيقة واقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية لأنها قائمة على الذات، إذن فالهوية ليست شيئا معطى بل هي شيء يخلق لا يشعر بها كل إنسان كوعي مباشر، فالإنسان اليومي يوجد أولا، يعيش أولا ثم يعي ذاته ثانيا، يأتي الوعي الذاتي ثم يأتي الوعي بالمحيط و ينشأ التساؤل عن الهوية من هو[2] ؟.

فالهوية هي التاريخ و التطابق مع التاريخ و معرفة في أي مرحلة من التاريخ تعيش الأمة، فلا تعيش مرحلة مضت و لا تعيش مرحلة قادمة و لا تتوقف عن السير في المرحلة الراهنة انتظار لمسار الأقدار، فالهوية حقيقة مجردة ثابتة دائمة صورية كما يظن الفلاسفة المثاليون، بل هي من صنع الأفراد و الشعوب[3].

فالهوية إذن تتجاوز الحدود الجغرافية و العرقية و اللغوية و الثقافية، توجد قيم إنسانية عامة مثل الحرية و العدالة إذ تندرج الهويات في الخصوصية و العموم، فالهوية هي التي تنبع من الذات من الجوهر لا من الأعراض الخارجية هي التي يصبح فيها الإنسان هوية واحدة لا تميز فيها بين الأجناس أو اللغات أو الثقافات أو الأوطان[4].

---

[1] حسن حنفي حسنين، الهوية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 2012، ص: 11.

[2] المرجع نفسه، ص: 23.

[3] المرجع نفسه، ص: 50.

[4] المرجع نفسه، ص: 74.

المفهوم اللغوي:

جاء تعريف الهوية في اللغة على أنها: " بمعنى هوى بالفتح يهوى، هويّا و هويانا أي سقط من فوق إلى الأسفل و يقال هوى بالفتح إذا هبط و هوى يهوي هويّا إذا صعد و هوية تصغير هوة، و قبل الهوية بئر بعيدة المهواة و عرشها و سقفها المغمى عليها بالتراب " [1].

يحيلنا هذا التعريف على أن الهوية يختلف معناها على اختلاف حركاتها الإعرابية.

كما ورد تعريف آخر على أنها: " هواء الجو كالمهواة و الهوة و الأهوية و الهاوية، و كل فارغ من جبان العشق فيكون في الخير و الشر و إرادة النفس و المهوى و العقاب هويا انقضت على صيد و غيره " [2] .

و هناك من يقول: " اسم اشتق من حرف الرباط أي الحرف الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره و هو حرف " هو " في قولهم: زيد هو إنسان و كلمة الهوية تدل على التطابق و الانطباق " [3] .

---

[1] الفيروز أبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2008، ص: 584.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة (هوى)، دار صادر ، بيروت، ط1، 1957، ص: 370.

[3] سعيد بن بوزة، الهوية و الاختلاف في الرواية النسوية، أطروحة دكتوراه، إشراف الطيب بودربالة، كلية الآداب و اللغات، قسم الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2017-2018، ص: 17.

المفهوم الاصطلاحي:

لقد تشعب تعريف الهوية في الاصطلاح كما تشعب في ارتباطها بجميع الميادين و التخصصات على اختلافاتها حيث جاء في قاموس مصطلحات الأدب بأنها: " الهوية في الأدب هي سمات مميزة للكاتب و تنطبع بطابعه و تحدد مسار عمله و مشخصات إنتاجه و الأدب يعرف بهويته الأدبية، و الأدب يعرف بسمات الأدباء و هوياتهم [1].

و هناك من يعرفها في الاصطلاح على أنها: " حقيقة الشيء المطلق المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، كما تعبر عن خاصية المطابقة أي مطابقة الشيء نفسه أو لمثيله فهوية أي شعب هي القدرة الثابتة و الجوهرية و المشترك فتميزه عن غيره من الحضارات " [2].

و جاء تعريف آخر لها: " الهوية تعبر عن قانون بتعابير متعددة كأن يقول " أ " هو " أ " أ = أ هو هو الشيء نفسه، قد تدل على الشيء ذاته خاصة يحتفظ بها دون تغيير فالشيء دائما هو هو و معنى ذلك أن الهوية تفترض ثبات الشيء " [3].

و يأتي تعريف آخر: " الهوية تتكثف في بقاء الشيء الواحد حيث التأكيد على معنى الفرادي و التميز عبر تحديد القسمات و الأوصاف و السمات المميزة "[4].

و يأتي تأويل ثاني مرتبط بمعطيين رئيسين يتمثلان في: " الأحادية في العدد حين يعمل اسم العلم فعله القوي في تميزها و الحفاظ على معطياتها الرمزية و المعنوية أما الثاني فإنه يستند إلى الزمن الذي يقوم على ضمان استمراريتها و بقائها "[5].

---

[1] عبير بسيوني رضوان، أزمة الهوية الثورية على الدولة في غياب المواطنة و بروز الطائفية، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص: 85.

[2] محمد محمد داوود، معجم التعبير الاصطلاحي، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص: 38.

[3] محمد مهران، مدخل إلى المنطق الصوري، دار النظافة، مصر، 1994، ص: 44.

[4] إسماعيل نوري الربيعي، التاريخ والهوية (إشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر)، دار حامد، عمان، د.ط، ص: 52.

[5] المرجع نفسه، ص: 53.

كما عرفها بول ريكور على أنها تميز بين نوعين من الهوية المتمثلة " الهوية مطابقة قوامها الأحادية مستندة إلى اسم العلم و الهوية الذاتية التي تعتمد على الاستمرار في الزمان من خلال الاحتفاظ بالجوهر الواحد [1].

و هناك من يعزم على أن الهوية " مرّكب معترف به اجتماعيا و ذلك من دلالات الذات الممتدة من عضوية الفرد كالطبقة و العرق و اللغة " [2].

إذ يحيلنا هذا التعريف على أن الهوية تقوم على أسس تمثلت في العرق، اللغة، الطبقة.

و يحدد لنا إسماعيل نوري الربيعي أيضا على مصطلح الهوية " بأنها بموضوعها الفردي التي تؤسس لتحديد ملامح الشخصية و تثبيت مفرداتها فإن الوهم الأول الذي سيكون في الواجهة لا بد أن يرتكز على حالة التداخل بين مضمون هذه الفرادى و يؤسس لها "[3].

و من هنا تتضح لنا الفكرة " الأساس يتعلق بالذات أي الأساس يتعلق فقط بوجود الإنسان قد تعلقها بأهمية هذا الوجود و منها الذات يتشكل مفهوم الهوية إن كان على الصعيد الفردي أو التعبير عن الهوية الجماعية "[4].

و يأتي الشرح الرابع " تستمد الهوية من خلال تشكلها في صورة إيجابية حيث القدرة على التفاعل الواعي المستند لدوافع و غايات قوامها التكامل و البحث عن مسار التقدم في حين الصورة السلبية تتشكل و تكشف عن معالم الخذلان و الإغراق في فشل تحقيق الغايات و انعدام الرؤية أو القدرة على ضبط الذات، إنها الصورة الخامسة على ملامح الخلل و الإحباط " [5]

---

[1] اسماعيل نوري الربيعي، التاريخ و الهوية إشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر، دار حامد، عمان، د ط، 2002، ص: 52.

[2] عزير العظمة و آخرون، مفاهيم عالمية للهوية، دار البيضاء، بيروت، ط1، 2005، ص:67.

[3] اسماعيل نوري الربيعي، التاريخ و الهوية، ص: 121.

[4] المرجع نفسه، ص: 121.

[5] المرجع نفسه، ص: 122.

اعتبر المفكر الفرنسي أليكي ميكشيللي "الهوية عبارة عن منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي ، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية ، والتي تتمثل في وحدة العناصر المادية ، والتمايز ، والديمومة ، والجهد المركزي وهذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز عمن سواه ، ويشعر بوحدته الذاتية" [1].

يبن لنا هذا القول دوائر وأطر الهوية التي تتمثل في الفرد و مجتمعه وإنسانيته عموما فهذه الأطر الثلاث ترتكز عليها الهوية فهي وحدة من العناصر المتكاملة فيما ينها ولا يمكن الفصل بين واحد منهما .

موضوع الهوية جاء أيضا في تعريفات عديدة حيث يذهب عدد من الباحثين في هذا المجال إلى أن الهوية "هي الصورة الذهنية من حيث أنه وضع بإزائها، الألفاظ والصورة الحاصلة في العقل من حيث أنها تقصد باللفظ تسمى مفهوما ، ومن حيث ثبوته في الخارج ، سميت حقيقة ومن حيث امتيازها عن الأغيار تسمى هوية"[2] .

أي أن الهوية هي الصورة الذهنية في العقل وامتيازها عن الأغيار فاكل بلد لديه هوية تميزه عن غيره من الأجناس فالحقيقة في هذا هو التميز عن الغير .

---

[1] اليكس ميكشيللي ، الهوية ، ترجمة علي وطفة ، دار الوسيم للخدمات الطباعية ، دمشق ، ط1 ، 1993 ، ص : 15-16.

[2] بن محمد الجرجاني ، تحقيق إبراهيم لأبياري ، التعريفات ، دار الكتاب العربية ، بيروت ، ط1 ، 1405 هـ ، ج1 ، ص :32.

يأتي تعريف آخر على الهوية بأنها " الإيمان بعقيدة هذه لأمة ، والإعتزاز بالإنتماء إليها واحترام قيمها الحضارية والثقافية والإعتزاز والتمسك بها والشعور باستقلالية الفردية والجماعية "[1].

دائما الشخص يكون معتز بإنتماءه وحضارته لتكن له هوية قوية تخيره عن باقي الحضارات والأمم .

المعروف على المصطلح الهوية أنه أكثر عرضه للإلتماس وعدم الثبوت في الدلالة التي يأتي بها لأن مصطلح الهوية يذكرنا بالتفكر الفلسفي اليوناني الذي افتتح بالتساؤل حول ماهية الوجود "تصوروا الوجود مماثلا بطبيعته لشيء يبقى هو هو على الدّوام ، بمعزل عن الاختلافات الظاهرة ومن هنا يبدو أن مفاهيم الوجود والمعقولية والفكر المحض قد يمثلها الفكر اليوناني بدءا من فكرة الهوية "[2].

الفكر اليوياني دائما مرتبط بماهية الوجود وسؤال حول الوجود وربطها بفكرة الهوية .

لكن الهوية لا يمكن أن تختزل فقط في هذه الجوانب اللغوية والقانونية بل تشمل أيضا "لكي تتجلى علاقة الهوية مع نفسها ، ولكي التوسط كتوسط لكي يتخذ ذلك التوسط الذي يخترق الهوية "[3].

فالهوية دائما ربطها الألمان المثاليون بالإختلاف لكي لا تطرح مسألة الهوية بعيدا عن الإختلاق فهو التغير عن لآخر يبن هويتك .

---

[1] خليل نوري مسيهر، الهوية الإسلامية في زمن العولمة ، دار الكتب العراقية ، بغداد ،ط1 ، 2009 ، ص :35.

[2] علي حرب ، التأويل والحقيقة ، (قراءة تأويلة في الثقافة العربية) ، دار التنوير لطباعة ، بيروت ، ط2 ، 2007 . ص : 198.

[3] عبد السلام بن عبد العالي ، أسس الفكر الفلسفي ، دار توبقال لنشر ، دار البيضاء ، البمغرب ، ط1 ، 1991 ، ص: 89-90.

المقارنة الحتمية مع التعريفات التي سبقت هناك تعريفات للهوية في الجانب الاجتماعي بكثرة نذكر منها :

"الهوية هي نوع مختلف من الإختزالية التي يمكن أن نسميها انتماء منفرد والذي يأخذ شكل افتراض أي أن شخص ينتمي علميا أو جماعيا ، ونحن نعلم بالطبع أن أي كائن بشري في الواقع ينتمي إلى جماعات مختلفة ومتعددة من خلال الميلاد والصلات والتحالفات وكل من هذه الهويات الجماعية يمكن أن يكسب الفرد شعور بالإنتماء والولاء "[1].

تبقى الهوية تركز على الإنتماء أي النظر إلى كل شخص بصفته وكينونيته وبلده وحضارته التي ينتمي إليها وتشعره بالولاء إلى تلك الحضارة التي تميزه على غيره .

يركز أيضا الجانب الاجتماعي على : "الهوية هي على أكثر أهمية واستعاب للإنتماء بصورة معقولة وتميزهم بأنهم مختلفون عن الأفراد الأخرى "[2].

الهوية هي التي تجعل الفرد يحس بأنه مختلف على الأفراد أو الجماعات بمميزاتها وحضارته التي ينتمي إليها .

---

[1] أمارتيا صن، الهوية والعنف ، ترجمة سحر توفيق، عالم المعرفة ، الكويت ، د ط ، 2008 ، ص : 33.

[2] المرجع نفسه ، ص 41 .

ينطلق أمين معلوف في كتابة الهويات القاتلة من فكرة تحود موفقه من كلمة الهوية : "مفهوم الهوية والبحث في أبعاد هذا المصطلح ليست بالسهلة أو اليسيرة "[1]

يبين لنا تشابك وتعدد مفهوم هذا المصطلح الذي يراها هو ليست بالسهلة.

الهوية عند القدماء عدة معاني وهي : " التشخص والشخص نفسه ، فالوجود المحض الصريح المستوعب لكل كمال وجودي شهودي "[2].

وكأنهم يركزون على فكرة الإمتياز والأحادية في الهوية وجعلها هوية تتميز بالفرادة على غيرها .

يأتي مفهوم آخر ليؤكد هذا القول " الأحق باسم الهوية من كان وجود ذاتية من نفسها وهو المسمى بواجب الوجود والمستلزم للقدم والبقاء "[3].

هذا التعريف هو مماز للمنطق الأرسطى في مبادئ الفكر حيث يستغرق ذاته ويتماهى مع ذاتية (عقليا وحسيا).

---

[1] أمين معلوف ، الهويات القاتلة ، ترجمة نبيل حسن ، دار الحصاد ، دمشق ، ط1 ، 1999 ، ص 13.

[2] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، لبنان ، د.ط ، 1982 ، ج2 ، ص :530

[3] رسول محمد رسول ، محنة الهوية ، المؤسسة العربية ،بيروت ، ط1 ، 2002 ، ص:17.

استنتاجا لما قدمنا من تعاريف على الهوية تبقى قضية فيها كل القيم الكبرى من الإنسانية والقومية الوطنية والفكر إضافة إلى اللغة والتاريخ والدين حتى الثقافة الشعبية ، لذلك أصبح من يبحث عن الإنسان يبحث عن هويته ، والذي يحلل لأمة أو الشعب ينطلق من هويتها :" مفهوم الهوية الحقيقي يكتمل بمفهوم لأمة والوطن وكذا الإنسان ، ذلك لأنها مفهوم حيوي عميق لا يمكن اختصاره في بضعة أسطر فهوية أمة ما ، تعني تلك الحلقات المتتابعة المتجذرة في أعماق التاريخ حتى أنها قد تصل إلى آلاف السنين "[1].

انتماء الشخص إلى وطنه وتشبثه بتراثه وحضارته وتاريخه كل هذا يدل على هويته فالمحافظة عليها يجب عدم نسيان أو ترك هذه المعالم والتقاليد والوطن .

[1] يوسف زناتي ، الهوية الثقافية في الموسيقى الجزائرية ، شهادة ماجستير، إشراف أحمد أوراغي، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية ، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان ، 2009-2010 ، ص: 29.

الفصل الأول: صورة الوطن في رواية نوار الملح

أولا: صورة المدينة الوطن

ثانيا: صورة الوطن الرمز

ثالثا: صورة المرأة الوطن

أولا: صورة المدينة (الوطن)

يمثل المكان الإطار الذي تنطلق منه الأحداث لما له من أهمية كبيرة في بناء أحداث الرواية، فهو بنية أساسية من بنياتها الفنية، ذلك أننا لا نتصور أحداث قصصية تفتقد إلى مكان تنمو فيه و تتكاثر و تتناسل، لأن المكان يحوي الأحداث، يبنيها و يؤطرها، و الفعل الإنساني و إن كان تخيلا محضا لا يتصور جاريا في غير زمن فإنه لا يتصور في غير مكان، كما أنه و من داخل الفضاء المكاني تتم عمليات التخيل و الاستنكار.

فالمكان من حيث هو ضيق أو متسع، مغلق أو مفتوح، قديم أو حديث .... الخ كل هذه الدلالات تسهم في إضاءة جوانب الرواية، من حيث تفاعل الشخصيات مع المكان على المستوى النفسي و الاجتماعي التي يريد الراوي الإشارة إليها، أي أن وصف البيت هو وصف للإنسان الذي يسكنه، فالفضاء المكاني بامتداده و مكوناته يساعدنا على فهم الشخوص التي تقطنه و بالتالي يمكننا أن نفهم مجمل الأوضاع السياسية و الثقافية و الاقتصادية لمجتمع من المجتمعات أو مدينة من المدن، فالإنسان مرتبط بالمكان، و هذا المكان له خصوصيته (فالعمل الأدبي حين نفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته و بالتالي أصالته) [1]

نلاحظ وجود علاقة وطيدة جدا بين المكان و المعنى داخل العمل الروائي، إذ أن المكان يساهم في خلق المعنى و الدلالة داخل الرواية، و هذا ما يتوفر في رواية " نوار الملح " حيث تجري أحداثها في مدينة جامعة (ورقلة) أين صور لنا الكاتب الضربات الموجعة التي تعرضت لها لم تكن هي الصورة الوحيدة التي تشكلت في ذهنيته و مخيلته بل إن الأحداث السردية تعود بنا إلى مقاومة المدينة على مدى المراحل التاريخية حيث يربط بين أزمنة الماضي عن طريق الذكريات حيث (تطفو على سطح ذاكرة جيل الثورة أمواج

---

[1] غاستون باشلار: جمالية المكانية، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت ط6، 2006، ص6.

من الذكريات المتشابكة المتعالقة المتزاحمة، يحاول كل منها الوثوب إلى الذهن ... ملايين من الصور و الملامح، الوجوه، و المواقف) [1].

صور لنا الكاتب عبد الغني زهاني معاناة الجزائريين في مدينة جامعة تلك المدينة التي كانت تمثل لقاطنيها الوطن العزيز الذي احتضنهم و احتوى آمالهم و آلامهم، ذلك أن المستعمرين نهبوا خيرات هذه المدينة و سلبوا من السكان أراضيهم حيث أصبحوا غرباء عن مدينتهم بعدما كانت حلمهم و وطنهم الذي ولدوا فيه.

و يمكننا رصد هذه المعاناة في قول الكاتب: " بين هذه الدروب الباهتة مثل الجريد اليابس المرمي على الأرض في الممرات المالحة بين الحقول قصص كثيرة وئدت و ماتت خلف جدران الكبت و القهر و الفقر " [2].

فعلاقة سكان مدينة " جامعة " بمدينتهم الوطن تتعدى كونها مجرد مكان للعيش و كسب الرزق، ذلك أنها تمثل كيانه و هويته أو لنقل بعبارة أخرى أنها (مكمن القوى النفسية و العقلية و العاطفة و الحيوانية للكائن الحي[3]، و من خلال ذلك يمكننا ملامسة معاناة سكان مدينة " جامعة "، تلك المعاناة التي حاول عبد الغني زهاني نقلها بكل صدق و شفافية.

و المدينة بهذا المعنى ليست مجرد موقع جغرافي، بل تتسع لتشمل تاريخ الشعوب حيث أن لكل مدينة ثقافتها الخاصة لأن الإنسان يؤثر في المكان الذي يوجد فيه بطابعه الخاص، و لذا (كثيرا ما يحدث التشابه بين الإنسان و المكان الذي يسكنه) [4].

تعد مدينة " جامعة " انطلاقا مما سبق مكانا مقدسا بالنسبة لسكانها ذلك أنها تمثل الوطن و الهوية، حيث حاول كل شخص في هذه المدينة الاستماتة من أجل دفع الظلم عنها

---

(1) خليفة قرطي: المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، معهد اللغة و الأدب العربي، جامعة الجزائر، 94-95، ص:122.

(2) عبد الغني زهاني: نوار الملح، الجزائر تقرأ، ط1، 2017، ص:15.

(3) قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، مطبعة اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، د ط، 2001، ص:19.

(4) المرجع نفسه، ص: 19.

و استرجاع حريتها المسلوبة، و تتضح هذه الاستماتة جليا في هذا المقطع (أنا مصطفى و هذا الخدير ستتعرفنا أكثر جئنا ندعوك لتلبية نداء الوطن، الثورة بحاجة إلى الشباب أمثالك و نحن نعرف بأنك لن تتأخر عن الواجب)[1] .

و أيضا: (نعم ما المطلوب مني؟ قالها الشاب عيسى منقادا بعاطفة وطنية أيقظها كلام الرجل الغريب) [2].

فرغم كل المعاناة و رغم كل أساليب التعذيب التي كست المكان تظل المدينة رمز الوطن الجريح و ذكرى لأيامه المؤلمة.

فصورة الوطن أو بالأحرى المدينة الوطن تنعكس في الخطاب الروائي من خلال بطولة المجاهدين (لتدخل حركة داخل مسارات السرد في النص و تضيف عليه جمالية فقط) [3] ، و الملاحظ أن الكاتب في رواية " نوار الملح " تناول مدينة " جامعة " الثورية بمشاهد حية، تعبر هذه المشاهد عن لحظة زمنية ستبقى حاضرة في الذاكرة الجماعية للأمة الجزائرية، لأنها تمس جزءا من تاريخها المشرف، و قد كان تركيزنا على مشهدين للثورة في مدينة " جامعة " بأن لهما أهمية كبرى لدى القارئ الجزائري بصفة خاصة و العربي بصفة عامة و هما مشهد: خوف و ترهيب الأهالي و تضييق الخناق عليهم حتى أصبحت الأعراس و الأفراح تجري بكثير من الهدوء و السرية و الكتمان مثلما كان الأمر فيما يتعلق بعرس عيسى.

أما المشهد الثاني فكان مشهدا للقتل و التعذيب و الإبادة التي قام بها العدو الفرنسي ضد الشعب الجزائري، فقد كان جيش الاستعمار يعمل جاهدا على قتل و قمع و اضطهاد الشعب الجزائري بهدف قتل روح الثورة لدى الشعب الجزائري و كمثال على ذلك نقول:

---

[1] عبد الغني زهاني: نوار الملح، ص: 43.

[2] المصدر نفسه، ص: 43.

[3] عز الدين باي: خطاب الهوية في رواية ما لا تذروه الرياح، مجلة دراسات جزائرية، جامعة وهران، العدد 3، مارس، 2006، ص:110.

(لم تمض ساعات على ذلك حتى وصلت شاحنات عسكرية من مناضلي الحزب إلى سجن تقرت)[1].

رصد لنا الكاتب " عبد الغني زهاني " وطنية سكان مدينة " جامعة " كما رصد لنا أيضا معاناتهم من هذا الاستعمار الغاشم الذي لم يترك وسيلة إلا و جربها ضد هذه الشعب الأعزل، فكانت هذه الممارسات وحشية متجردة من الإنسانية، كيف لا و هو المستعمر الذي قدم الشعب الجزائري التضحيات الجسام، فقد ضحى أزيد من مليون و نصف مليون شهيد و ما قام به المسبلون و الفدائيون و حتى النساء و الأطفال من أجل أن يتحرروا من نيرانه.

كما جسد الروائي " عبد الغني زهاني " هذه الوحشية في مقاطع عديدة من الرواية نمثل لها بقوله: (نظر مليا في السي لخضر الواقف بثقة بوجه شامخ و نظرة ثابتة هادئة، رأى أن الرجل لن يتكلم بأكثر من ذلك، لكنه قرر أن يمضي في تعذيبه حفاظا على هيبته و هيبة سجن كورنو، دفعه نحو مولد كهرباء و بدأ الجنود مراسيم العذاب الليلية) [2].

فالعدو كان يعتقد انه من خلال تخويف و قمع و اضطهاد و تنكيل الشعب الجزائري يتمكن بذلك من قتل روح الثورة و التمرد لديه، و من الناحية الجسدية فهو كتلة لحمية و شحمية ضخمة تثير الرهبة و هو مخلوق مخيف له شكل فضيع يتمتع بحضور قوي جدا لدرجة بعث الخوف في الأرض [3].

و قد سعت الرواية إلى التعبير عن عالم المدينة بكل تناقضاته و صوره المختلفة إذ جاء توظيف المكان / المدينة في النص الروائي للدلالة على الهوية و الأبعاد التاريخية و النفسية و الاجتماعية، لذا يكون التعامل معه كمعطى وجودي ينضم إلى المعطيات الأكثر سلبا من معطيات الحياة [4].

---

[1] عبد الغني زهاني: نوار الملح، ص: 25.

[2] المصدر نفسه، ص: 59.

[3] عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص:136.

[4] الشريف حبيلة: الرواية و العنف (دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية و المعاصرة)، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2001، ص:23.

فالمدينة وعاء لكل الأحداث السياسية و الاجتماعية و الثقافية، لذلك كان تسليط الضوء عليها بارزا، و ينبع هذا الاهتمام من كون (المدينة بالذات هي المكان الذي يتسع لاستيعاب جدل و صراع التناقضات بكل أطرافها و محاورها)[1] ، و هنا يصبح المكان كائنا حيا يمارس حركاته في النص الروائي كونه متصل بالسلوك الإنساني و الرواية (إما تعكس تمايزات المدن انطلاقا من التعبيرات النفسية و الاجتماعية و السياسية) [2].

فالرواية بذلك لا تصور المدينة كرقعة جغرافية فحسب، بل هي كيان مثقل بالعواطف و المشاعر التي يحملها أصحابها، ذلك أنهم يجدون هذا المكان شخصيتهم و هويتهم و يعتبرونه وطنهم الذي لا يستطيعون الانفصال عنه فتجدونهم يبذلون الغالي و النفيس في سبيل نصرة هذه المدينة التي لا يتصورون أنفسهم بعيدين عنها.

أراد الكاتب " عبد الغني زهاني " من خلال روايته أن يصور لنا قدسية " الوطن " بالنسبة للشعب الجزائري و التحامه بأرضه و تعلقه بها فأسقط ذلك على مدينة " جامعة " هذه المدينة التي كانت تمثل لسكانها صورة الوطن، حيث رصد آمالهم و آلامهم، و لعل أبرز الشخصيات التي ركز عليها " عبد الغني زهاني " في روايته هي شخصية عيسى تلك الشخصية الثورية المناضلة الأبية و الرافضة للظلم و المكافحة في سبيل الوطن.

ترك عيسى أمه المريضة و زوجته و لبى نداء الوطن بدون تردد و هذا ما صور لنا قدر " السي عيسى " المليء بكل صنوف العذاب و الصعوبات، إلا أن قدره في (الثورة الفنية كانت أشد و أعنف، فلاسيما أننا نجدها جزءا لا يتجزأ عن الحرب و الحب التي غمرت نفسه، حتى بلغت به حدا كبيرا إلى الرغبة في القتال) [3] .

و تظهر لنا وطنية عيسى و حبه الكبير لوطنه في مقاطع عديدة من الرواية نذكر منها ما يلي: (بعد العشاء قدم السي مصطفى إلى عيسى خطابا من قيادة المجاهدين

---

[1] رزاق إبراهيم حسن: المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، د.ط، 1984، ص: 106.

[2] المرجع نفسه، ص:106- 18.

[3] ذياب قديد، المتنبي بين الاغتراب و الثورة، عالم الكتب الحديث، لبنان، ط2011، ص:336.

بالمنطقة يخبره بقرار سفره إلى تونس، وضع كأس الشاي و وقف ثم جلس و قال:

(لكن ...) أمسك السي مصطفى يده و قال: (نحن في ثورة يا ولدي كل واحد كتبت عليه تضحية بطريقة ما ..... لم يجد عيسى كلاما يقوله بعد كلام السي مصطفى رأى أن حجته واهية أمام كلام هذا الرجل الرزين عن الثورة و التضحية ...) [1].

و لقد كانت الثورة بذلك سلاح ذو حدين إما إيجابية في تحقيق الرغبات و الأهواء و سلبية في ترك وراءها الدموع و الضحايا.

تعد الثورة حافزا من حوافز التقدم و الاستمرار لأنها هي التي تقضي بوسائلها على كل شيء غير صالح في المجتمع و تعطي دفعا قويا للحركة الاستمرارية [2]، و لهذا قد تكون الثورة مصدر ألم و معاناة لبعض الأشخاص لكنها أمل و منفذ للحرية و لغد أفضل فلا بد من التضحية و المخاطرة للحصول على مستقبل أجمل.

و بالتالي كانت مدينة " جامعة " صاخبة ثائرة تقزم الإنسان، و تختصر وجوده فالليل فيها صاخب و كذلك نهارها، لذلك يعاني فيها الناس القلق، التوتر و الشتات إضافة إلى الخوف و التشاؤم، حيث أنها تحمل دلالة سلبية في نفسية سكانها و هذا ما يظهر جليا في شخص زهية: (تتقلب زهية في فراشها على الشدة المصنوعة من جريد النخل وحيدة و القمر المكتمل يحدق بعينيها المسهدتين، و الهواء ثقيل و ساخن و الصهد يتصاعد من الأرض المالحة و الأفاق مسدودة بسحاب ثقيل متقطع يحبس الهواء في الليل و النهار) [3].

و لقد حملت المدينة دلالتين، دلالة الأمل والحب والصفاء، و دلالة خيبة أمل و الإحساس بالخوف و الاغتراب.

---

[1] عبد الغني زهاني: نوار الملح، ص:72.

[2] ذياب قديد: المتنبي بين الإغتراب والثورة، عالم الكتب الحديث –لبنان– ط 2011، 1م،ص: ص296.

[3] عبد الغني زهاني: نوار الملح، ص: 67.

و استنتاجا لما سبق، تحضر المدينة كمكان في بنية النص الروائي المعاصر بدلالتها الاجتماعية و السياسة، فقد يكثف السرد حضورها بل و اتخذت صورا ثلاث: عبرت الأولى عن الحياة الاجتماعية لساكنيها الواقعين تحت سلطة الذل و القهر.

فيفتقرون لأبسط الحاجات، و عبرت الثانية عما تعرض له هذا المكان من عنف وحشي و قتل و اضطهاد في زمن الاحتلال، أما الثالثة فقد عبرت عن صورة مميزة جماليا قابلت بين المدينة و الوطن و ما شهده من أحداث مأساوية و اضطرابات نفسية.

فهي فضاء مفتوح بالاتساع و التحرر فضاء رحب للحب الوطني الذي لا يعترف بالهزيمة أبدا، كما تغدو رمزا من رموز الوطن، تقوم على تعميق الإحساس بالماضي المجيد و الثورة على الظلم و الاستبداد و تأكيد الهوية الوطنية [1].

فالحرية إذا مطلب إيجابي و مشروع، لكن تحقيقها أمر شاق يحتاج إلى جهد ذاتي و موضوعي، و الاستقلال الذي أنبت الوطن حقول و حقول تحصدها الموت، فإن الحرية غالية، إذا رنّت في الآذان حركن أوتار القلوب و هزّت النفوس هزا.

[1] ساندي سالم أبو يوسف: الرواية العربية و إشكالية التصنيف، دار الشروق، عمان، ط1، 2008،ص:125.

ثانيا: صورة الوطن الرمز

حب الوطن أمر فطري و طبيعي متغلغل في ذات كل إنسان، كما أنه شعور و تعبير إبداعي عند كل مبدع، أديبا كان أم فنانا.

(و إذا انتقلنا إلى الإبداع العربي، قد يتوزع المبدعون العرب في العصر الحديث على قوة الارتباط بالوطن، فقد عبروا عنهم حب يتجلى في إبداعاتهم الأدبية، وضعف هذا الارتباط الذي يعبرون عنه من حيث لا يشعرون في سلوكياتهم و مواقفهم و أفعالهم، فيكون الصمت إبداعا عن التعبير عن حب الوطن، و المبالغة في ذلك تغطية أو تعويضا عما تعبر سلوكياتهم و أفعالهم و مواقفهم عن حقيقة أحيانا أخرى) [1].

و يعد الوطن من الأماكن التي مثلت هاجسا حقيقيا للروائيين، و تفاعلوا مع ما يحدث معه لما يحمله من دلالات الانتماء و الهوية الوطنية، هوية الكاتب، هوية الشخصيات و ما إلى ذلك.

قدمته الكتابة الروائية في واقع يناقض المفهوم النظري أو بالأحرى ما يجب عليه أن يكون حقيقة، ذلك أن الكاتب صوره لنا وطنا تنعدم فيه الحرية، وطنا يقضي على النظام بالفوضى و التشويه، وطنا مضطهدا و مقيدا في حمى الاستعمار الفرنسي الذي قضى على آمال الشعب الجزائري و عرضهم لكل أشكال الظلم و التعذيب و الاستبداد و يقول عبد الغني زهاني في أحد مقاطع روايته: (القصص العظيمة يصعب تحديد بدايتها لأنها تكون ضاربة في الماضي بجذورها، تبدأ في التشكل في غفلة من الجميع، تتداخل عناصرها و تتشابك و لا يلتفت لها الناس، إلا عندما تأخذ شكل الفاجعة و تصبح ماثلة أمام كل عين[2].)

---

[1] نجم عبد الله كاظم: أيقونات الوهم، الناقد العربي و إشكالية النقد الحديث، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2011، ص:219-222.

[2] عبد الغني زهاني: نوار الملح، ص:05.

جعل الكاتب من الوطن مكانا لا حدود له، فلم يعتبره مجرد رقعة جغرافية و إنما رمزا من رموز الوعي الوطني و الرغبة في الحرية حيث (جعلته الكتابة قيمة وجدانية و فكرة يشكلها الوعي، تعويضا عن المكان المادي المنتهك بسبب العنف المتزايد، و مع ذلك يبقى في القلب، في العقل، في الذاكرة يحضر على امتداد المدونة حضورا عنيفا مهددا، و مهددا تقدمه الكتابة مستوحشا بالاضطهاد و القهر و القتل من خلال التجربة الفردية و الجماعية، و هو أمر يخص مكانا يتحكم فيه العنف بمختلف أشكاله و مصادره) [1].

فالشوق إلى الوطن نابع من الوجدان الذاتي إذا يعد عاملا مساعدا على ازدهار الرواية الأدبية، خاصة و أن العربي بفطرته يحن إلى الأرض التي ترعرع فيها و إلى السماء التي أضلته إلى الأناس الذي عاش بينهم، فكانت الألفة و روح الحنين إلى الوطن تدفعه دائما إلى استرجاع مواقع الصبا و الديار، فيّهيج ذلك قرائحه المكبوتة فيعبر عن مشاعره و أحاسيسه الجياشة بأشعار عذبة تناقلتها نسمات الهواء التي تهب من صوبه لديار الأهل و الأحباب.

(و هذا الشوق و الحنين نتج عن ابتعاد العرب عن ديارهم عندما خرجوا لجهاد في سبيل الله، و لنشر مبادئ الدين الإسلامي الجديد في مختلف جهات المعمورة، أو عندما هاجروا فرارا بدينهم من بطش الأعداء أو السلطان أو الحكام) [2].

كانت الرواية الأدبية إحدى الوسائل السهلة القريبة التي احتوت ذلك الحنين و استجابت لتلك الحالة النفسية الملحة الكامنة في داخل الإنسان، فالرواية الأدبية تعتبر حلقة الوصل بين المهاجر و وطنه، و البعيد و أهله، فيشطح بهم الخيال و يحلق في سماء

---

[1] الشريف حبيلة: الرواية والعنف(دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010م،ص:69-70 .

[2] ممدوح محمود حامد: الرواية و أثرها في النقد الأدبي، دار جليس الزمان للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2010 ص:37.

ربوعهم ليقتنص تلك الصور المحببة إلى القلب، و بالجملة فالرواية الأدبية بالنسبة للمهاجر عن وطنه تعتبر أداة من الأدوات التي يعتصم بها [1].

إلا أننا في هذه الرواية نقف عند أغرب المفارقات، ذلك أن الحنين إلى الوطن لم يكن نابعا من نفس جزائرية، و إنما من شخص مستوطن فرنسي الجنسية الذي دفعه الحنين إلى مدينة " جامعة " و حبّه للفتاة " زهية " إلى قطع آلاف الأميال من أجل العودة حيث مازال يظن أن مدينة " جامعة " مدينته و الجزائر وطنه و اعتبرها رمزا لحبه الضائع، لكنه صدم بالنتيجة فلم تعد مدينة " جامعة " و لا سكانها كما تركهم من قبل خمسين سنة، فلم يجدها ذلل المكان الرحب الذي مثل له ميدانا للحب، فقد تحول هذا المكان مع مرور الزمن مجرد ذكرى و التي يصطحبها بالضرورة كثير من الألم و العذاب و الحسرة فكل ركن في مدينة " جامعة " يحمل كثيرا من الذكريات في نفس " أندريه " سواء أكانت هذه الذكريات جميلة أم أليمة إلا أنها لها وقعا و صدى خاصا في نفس هذا الرجل.

و باعتبار هذا المكان نعني مدينة " جامعة " يمثل ل " أندريه " ميدانا رحبا لمطارحة الحب، فكان ذلك سببا كافيا ل " أندريه " لقطع تلك المسافات في سبيل رؤية شخص ربما لا يجده إطلاقا و هذا ما أدى إلى انفتاح ذاتيته على الآخر و الذي يمثل في الأغلب شخصية " زهية " فتتبدى له هويته في ذاتها و من هنا تظهر لنا شخصية " أندريه " العاشق الذي لا يعرف ما يريد.

و من المقاطع الروائية التي تمثل لنا هذا الشخص ما يأتي:

(كانت حسرة أندريه كبيرة و هو يرى " عمارة " يغلق دكانه و يغادر جارا رجله اليسرى على الإسفلت، إذ كان يعلق آمالا كبيرة على هذا الرجل في أن يقوده إلى بصيص أمل في العثور على ما يريد، لم يكن له هدف و هو يسير في الشارع العمومي " بجامعة " عابرا بالمحلات

[1] زايد محمد رحمة الخوالدة: صورة المكان في شعر عز الدين المناصرة، دار الراية للنشر و التوسيع، عمان، ط2012، ص: 170 .

الحديثة التي احتلت مكانا كان خاليا تماما عندما غادرها، لم يجد ملامح المدينة التي نشأ بها) [1].

و يمكننا القول بأن " أندريه " رغم مكوثه مدة زمنية معتبرة بالإضافة إلى اضطراره للعيش بطريقة مغايرة لنمطه المعيشي، إلا أنه راوده حلم العودة إلى الجزائر التي اعتبرها وطنه و إلى " زهية– " التي اعتبرها امرأته على الرغم من أنها لا تنظر له على هذا الأساس، و هذا الحلم كان مرتبطا بهموم الهوية بالنسبة " لأندريه " و ليس حلما للعودة فقط، حيث وجد نفسه أمام مرض خطير يتمثل في جرح الهوية، و بعد كثير من الشد و الجذب في نفس " أندريه " المتنازعة تيقن أن هناك شيئا ما يحرص على أن لا يبلغ هدفه فرجع إلى نفسه و غشي روحه اليأس (و هذا الرجوع هو رجوع إلى نفسيته و شخصيته و أصالته) [2].

لقد حاول الكاتب " عبد الغني زهاني" أن يعالج الآثار النفسية و الاجتماعية المترتبة عن الاحتلال الفرنسي للجزائر بالنسبة للجزائريين ممثلة في شخصية " عيسى " و بالنسبة للمعمرين ممثلة في شخص " أندريه ".

(إن ما يدفع الروائي إلى البحث داخل الماضي لهو تعرفه فيه على نفسه أنه يقوم بفهم ما يمكن أن يفهم، و هدفه التاريخي هو إعطاء هوية للذي يحيا الوساطة هروبا من النسيان الذي رسمه الآن) [3].

إضافة إلى تصوير " عبد الغني زهاني " سلطة المرأة و تأثيرها على الرجل و منه يصير حب المرأة هنا جزءا من حب الوطن، و من الحنين العارم إليه و يصير هذا الوطن رمزا و رؤيا، يستقطب كل صور الحنين و أشكاله [4].

---

[1] عبد الغني زهاني: نوالر الملح، ص:74.

[2] محمد البشير البويجرة: الشخصية في الرواية الجزائرية، 1970–1983، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص:296.

[3] سعيد علوش: الرواية و الايديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، بيروت 1983، ص: 27.

[4] فاطمة طحطاح: الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب بالرباط، منشورات كلية الآداب بالرباط، ط1993، ص: 183.

و خاتمة القول تعد المرأة معينا كبيرا أعدته العناية الإلهية لوظيفة سامية للغاية و هي حفظ النوع البشري و استدامته، فهي مخلوق شفاف المشاعر، رقيق العواطف تمثل قيمة حقيقية في بنية المجتمع و تترك بشخصيتها و مبادئها و أهدافها آثار واضحة لدى الآخر، و كثيرا ما تمتد هذه الآثار إلى مستقبله.

و لهذا فقد تبوأت مكانا ساميا في حياة الرجل لا ينسى، حفظته ذاكرة الأيام، و وعته سجلات الزمن.

و اعتمد " عبد الغني زهاني " بهذا الوطن واقعا و تاريخا مزج في روايته بين الحب و الثورة.

ثالثا: صورة المرأة الوطن

كانت و لا تزال المرأة مصدرا للتضحية و الصمود، يشهد لها التاريخ العالمي بذلك على اعتبار أن: صورة المرأة أكثر رهافة و حساسية و أشد وضوحا في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل .....

كذلك نجد المرأة قادرة على أن تستقطب بحساسيتها المتأنية و اتّزانها العاطفي مثّل مجتمعها و تقاليده بجميع عناصرها استقطابا يبلغ حد الثبات و التكرار [1].

تعد مسألة المرأة كمضمون هي من القضايا التي فرضت نفسها بشكل صريح و واضح في الأدب العالمي، منذ أن بدت ملامحه تلوح في الأفق و تتماشى مع المسيرة الحضارية للإنسان، ذلك أن الدور الذي أدته المرأة كان دورا عالميا و تاريخيا في الوقت نفسه، حيث يقول الكاتب و الناقد الإنجليزي " جون راسين " في هذا الصدد " حب المرأة عند شكسبير هو ينبوع الحياة و الجمال، و بدونها تصبح الحياة غير ذات معنى و الحب من أول نظرة هو نداء الجمال " كما أكد الروائي الإنجليزي " جورج ميريدث" بقوله: (أن للمرأة

[1] عبد الحفيظ بن جلولي: الهامش و الصدى، قراءة في تجربة محمد مفلاح الروائية، دار المعرفة، الجزائر، د ط 2008، ص:50-51.

عقلا أيضا، بالإضافة إلى قلبها، و أنه لكي تتمتع بوجودها الإنساني كمخلوق متكامل لا بد من هذه الخلطة السحرية بين عقلها و قلبها) [1].

شغلت المرأة تفكير العديد من الشعراء في مختلف العصور الأدبية و لا عجب في ذلك، باعتبارها الركن الثاني من أركان بناء المجتمع.

و المرأة كذلك نصف الرجل، تمام عيشه و حياته، و مصدر سعادته غير المكتملة، بها يكمل ما ينقصه من بهجة و سرور فهي مبعث الرضا و الغضب، و الفرح و الترح، و هي سنده و إلهامه، إنها منهل أغراض الشعر فكم من شاعر ألهبت المرأة عواطفه و نسجت خياله، و كم من شاعر هيمنت المرأة على كثرة من شعره (وما ذلك إلا أن المرأة هي أجمل موضوع في نظر الرجل) [2].

للمرأة في أدب " نجيب محفوظ " دور كاشف لكل القيم، ذلك أنها في عرضة دائما للاستغلال على اعتبارها مخلوقا ضعيف النفس بسبب طبيعة تكوينها، لذلك فهي نادرا ما تستطيع الصمود أمام عوامل الفساد التي قد تنتشر كالوباء في المجتمع في حقبات تاريخية معينة كنتيجة لفساد أوضاعه السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية [3].

وكانت كتابة المرأة بهذا إضافة متميزة للأدب، و مما يميز كتابات المرأة غالبا " الصدق الأدبي " في معالجة الموضوعات و القضايا الخاصة الذاتية، ففي كثير من الأحيان لا نكاد نميز بين ما هو ذاتي و ما هو موضوعي.

(إن عملية الإسقاط و " التداخل " الملتبس بين الشخصية الروائية / القصصية، و بين الساردة (الراوية) الكاتبة يميزان عمل المرأة الكاتبة ... و أن المرأة لا تميل إلى التقليد إلى

---

[1] نبيل راغب: موسوعة الفكر الأدبي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، د ط، 2002، ص: 340-342.

[2] جمال زاهر: شعراء الواواء الدمشقي – دراسة فنية –، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط2، 2007، ص: 37.

[3] سناء طاهر الجمالي: صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع عمان، ط2011، 1م، ص:33.

الالتزام بالمعايير و الحدود الناظمة للجنس الأدبي شكلا و مضمونا، فالمرأة الكاتبة تنطلق من ذاتها لا من المعايير)[1].

كانت قضية " المرأة " محورية في الكتابات النسوية لاعتبارات عديدة منها: (تكتب عن موضوع لصيق بها، و يشكل محور كينونتها، كيف تفكر و كيف تحس، ما ينتابها من شعور باليأس و الإحباط أو الرضا عندما تصطدم بسلوك معين ... ما تطمح إليه من آمال و ما ترغب في تحقيقه لذاتها، و كون المرأة تكتب عن قضية تنهك و تثقل كاهل المجتمع و تضعفه و تبدد مجهوداته، كما أنها قضية مفتعلة و جانبية تمتص الكثير من جهد الإنسان في المجتمع و تخلف صراعات هامشية بين الجنسين المرأة و الرجل) [2].

لقد حضرت المرأة في الشعر كمظهر من مظاهر الحنين إلى المكان، ذلك أن صورتها جاءت متوحدة مع الأرض أو الوطن، فتصبح (الأرض، الوطن) هي الأم التي يحن الشاعر لها و يتشوق لرؤيتها.

و هذا ما نجده عند الشاعر " عز الدين المناصرة " الذي جعل من المرأة وسيلة لتحقيق أهداف بعيدة عن العلاقة الطبيعية، حيث أخذها كبديل عن الوطن، و أسقط عليها عواطفه و مشاعره، فالمرأة عنده محملة بدلالات اشارية و رمزية، تبرز الإيحاءات الوطنية و التاريخية و الحضارية، فالمناصرة يريد أن يجعل من المرأة أداة فنية يستطيع من خلالها أن يعبر عن رؤيته و معانيه لفقده وطنه [3].

و تمثل المرأة بالنسبة للشاعر " نزار قباني " قضية و رسالة، تشير إلى كائن بشري مظلوم على امتداد تاريخ الكون ... المرأة هي الوطن و الحرية و الديموقراطية ..... هي السياسة[4].

---

[1] محمد معتصم: المرأة والسرد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص: 133.

[2] محمد معتصم: المرأة و السرد، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ط1، 2004، ص: 133.

[3] زايد محمد رحيمة الخوالدة: صورة المكان في شعر عز الدين المناصرة، دار الراية للنشر و التوزيع، عمان، ط2012، ص: 154.

[4] التهامي الهاني: الوطن و المرأة في شعر نزار قباني، دار صامد للنشر و التوزيع، ط2، 2004، ص: 75 و 91.

و لعل أبرز الشعراء الذين اهتموا بموضوع المرأة، فكانت مصدرا لإلهامهم " نزار قباني" حيث يقول في المرأة: (في البداية كانت المرأة شغلي الشاغل بدون شك يعني من الأربعينيات حتى أواخر الستينات كانت المرأة أرضا أقاتل فوقها، لم أتغزل بالمرأة كهيكل أو كوجه جميل أو كجسد جميل ... تغزّلت بالمرأة كقضية).

و من ناحية أخرى ساهمت المرأة كدلالة مجازية لبسط قضايا وطنية و إقليمية و قومية (فالمرأة هي الثورة و الحرية و الديموقراطية) [1].

خصوصا المرأة الجزائرية التي لعبت دورا هاما في محاربة الاستعمار، و ساهمت في الحصول على الحرية و السيادة الوطنية، و مكانة المرأة في الثورة التحريرية تتعدى حدود المشاركة، ذلك أنها بالنسبة للجزائريين و الجزائر هي الجزائر نفسها، و هي الأمة بأكملها باعتبارها الوعاء الذي احتوى الثورة و ضمن استمراريتها، و تضمن وجودنا كأمة منذ أقدم العصور و إلى اليوم و غدا، فالمرأة دائما كانت ترمز للعرض و الشرف و الأصالة و المرأة الجزائرية لم تكن بمنأى عن ذلك (فقد ناضلت بعنف و قامت بشجاعة و تفان و إقدام) [2].

أما عن المرأة كموضوع في رواية " نوار الملح " جاءت ممثلة في شخصية " زهية" تلك المرأة الضعيفة التي اضطرت إلى مجابهة هموم الحياة وحدها بعد أن توفي والدها و تركها زوجها ليلتحق بصفوف الثورة، حيث وجدت نفسها مسؤولة عن إعالة نفسها و أمها و أم زوجها في واقع استعماري لا يرحم.

كانت زهية مثالا للتضحية و الصبر و العطاء، فعلى الرغم من الواقع المرير التي كانت تعيشه مدينة " جامعة " و الجزائر على وجه الخصوص إلا أن زهية لم تستسلم

---

[1] المرجع نفسه، ص: 91.

[2] محمد الشريف عباس: كفاح المرأة الجزائرية، دراسات و بحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، دار هومة، ط2، منقحة و مزيدة، ص20.

لمخاوفها أين حاولت العمل من أجل إعالة عائلتها، راضية لكل ما سيأتيها و يصيبها لا ترفع يدا و لا ترفع صوت، تكن و تئن و تصبر و تصمت و تعيش.

وهذا ما أراد أن يعكسه الكاتب لنا ليس حياة المرأة زهية فقط بل هي حياة عديد من النساء الجزائريات اللواتي كن ضحايا للاستعمار الفرنسي حيث يقول عبد الغني زهاني (خلف هذه الجدران الطينية المتلاصقة قصص متشابهة لنسوة غدون وحيدات لولا مجاورة الحيوانات في الزرائب اللصيقة بالغرف، ثغاء الماعز في الغروب، نهيق الحمار لأسباب مجهولة، نوح الحمام في الظهيرة و آثاره التي يتركها على الأرضية المتربة، نوم القط تحت قربة الماء....)[1].

و عليه فقد حاول الروائي منذ بداية روايته رسم صورة جميلة عن المرأة الجزائرية و رسم صورة بشعة لكل ما هو فرنسي، فكانت الصورة الأولى صورة " زهية " (التي صورها و هي منهمكة في صندوقها غير عابئة بوجود " أندريه " و هو يقف خلفها تماما تحس بسرواله يلامس ثوبها) [2].

وهذه الصورة دون شك مرعبة و قاسية بالنسبة لأي امرأة، تتنافى مع كل ما هو إنساني إلا أنها في نفس الوقت كانت تتماشى مع حالة الضياع التي تعيشها " زهية " و مع جمود و رتابة الحياة في مدينة " جامعة " بحيث يصفهم الروائي (تعودت زهية و فتيات كثيرات الذهاب إلى الحقول و جز العشب للأغنام و الدواب في غياب الرجال الذين ماتوا أو سجنوا أو فروا إلا أن دورة الحياة ستستمر رغم أن لها شكلا واحدا هنا من البيت إلى الحقل و من الحقل إلى البيت)[3].

وهي الصورة التي نجدها تتكرر في شخصية " نجمة " و " حدة "، و كل نساء مدينة " جامعة " اللاتي كن الخاسر الأكبر في هذه الثورة حيث يقول عبد الغني زهاني (لم يبق

---

[1] عبد الغني زهاني، نوار الملح، ص: 67.

[2] عبد الغني زهاني، نوار الملح، ص: 76.

[3] المصدر نفسه، ص: 66.

في القرية غير النساء و الأطفال يتقصين الأخبار من بعضهم البعض، و تروي كل واحدة كيف اقتيد رجلها من بيته) [1].

و إذا كان الروائي قدم لنا صورة المرأة الجزائرية بالشكل الذي كان فيه الكثير من الألم و الظلم في حقها، فإنه بالمقابل قدم لنا صورة رائعة عن المرأة المضحية، المرأة الوطن التي و على الرغم من معاناتها لابتعاد سندها عنها إلا أنها كانت دائما مصدر قوة للرجل تدعمه في أحلك الظروف، كيف لا إذا كان الأمر يتعلق بالوطن الذي يعيش في داخلها، ذلك أنها أدركت بأن لا سبيل لتحريرها قبل تحرير الوطن، فزهية و حدة و نجمة و غيرهم جزء من الثورة الجزائرية، و الثورة الجزائرية هي جزء من الثورة العالمية و عليه (تحرير المرأة هو السبيل الوحيد إلى تحرير الوطن قبل التفاوض مع الاستعمار، و من هنا يرتبط تحرير المرأة بتحرير الوطن، فالتحرير يدعم حريتها الفردية و استقلالها الوطني لأن الوطن يبقى عاجزا دون مساندة نصفه الآخر، فتحرير الوطن لا يمكن أن يتم إلا من خلال تحرير نسائه)[2].

لقد كان الروائيون واعين لارتباط حركة المرأة بالمجتمع من ناحية ، و من ناحية أخرى دلالة المرأة كرمز ثري موح للتعبير عن الوطن ، واستخدم الرواد صورة المرأة أداة فنية للتعبير عن الأزمات التي يتعرض لها البشر[3].

كما نلاحظ أن حضور المرأة في رواية " نوار الملح " كان على مستويين أولهما و هو الأشمل و الأهم متعلق بالمستوى الوجودي الذاتي، فيه نرى المرأة وطنا شديد الخصوصية نجدها ملاذا و ظلا.

أما المستوى الثاني الذي تحضر فيه صورة المرأة الوطن هو مستوى موضوعي إلى حد بعيد حيث يستخدم الكاتب المرأة الوطن كرمز يدل على المعنى الجغرافي أو السياسي

---

[1] المصدر نفسه، ص 53.

[2] ياسمينة صالح: بحر الصمت، دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص: 75.

[3] صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ص2، 2009، ص: 732.

فالأولى تتجلى في أنهار رمز للثورة و الوطن و تحقيق ما هو منتظر، أما الثانية فقد تظهر بأنها شفرة للعقاب و الألم و الموت و الجرح الدفين و يمكننا القول بأن ثورية المرأة لم تكن وليدة الثورة التحريرية، بل كانت سابقة عنها ضاربة في أعماق التاريخ الجزائري الذي سجل أسماء عظيمة في تاريخ الجزائر منذ القديم، غير أن الثورة التحريرية كانت ملهمة و مفجرة للطاقات، و سمح للمرأة أن تثبت وجودها و تحررها، بل و أثبتت كفاءتها لنيل الحرية.

(و إذا كانت المرأة بعد الاستقلال قد بقيت تكافح من أجل غد أفضل و من أجل الحفاظ على المكتسبات الحقة و المطالبة بالمزيد من الحرية، فإنها تقوم بهذا الدور البناء على ما قدمته خلال الثورة التي تبقى الزمن المناسب لإعطاء صورة عن المرأة الجزائرية) [1]

فالمرأة باعتبارها تلك الأيقونة المتميزة التي فرضت نفسها عبر محطات التاريخ و عملت إثبات وجودها في كل بقع الجغرافيا، و ساهمت مساهمة فعالة في بلورة الفكر الإنساني هو ما جعلها تحظى باهتمام أكبر فلاسفة و مفكري البشرية [2].

و يمكننا القول بأن الكاتب " عبد الغني زهاني " نقل لنا صورة المرأة الجزائرية و معاناتها إبان الاستعمار الفرنسي، كما رصد لنا تضحياتها و صمودها و دعمها للرجل و إن كان هذا التصوير لم يكن بالقدر الكافي الذي يفي المرأة الجزائرية حقها، إلا أنه صور لنا جانبا منه و اقترب نوعا ما من الواقع.

و في الأخير يمكننا القول بأن المرأة الجزائرية كانت و لا تزال محورا من المحاور الأساسية التي يدور حولها الأدب الإنساني.

و لازال التاريخ الإنساني يشهد لها بذلك و أبرز دليل على ذلك سجلات التاريخ التي تحفظ كل هاته التضحيات و البطولات.

---

[1] المرجع نفسه، ص: 733.

[2] موسى دادة بلخير: أصداء المركز الجامعي لتمنراست، نشرية إخبارية ثقافية تصدر عن المركز الجامعي لتمنراست العدد 03، جوان 2012، ص: 07.

الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية نوار الملح ل " عبد الغني زهاني "

م1: الهوية و الأنا

م2: الأنا و الآخر

م3: الأنا و المجتمع

المبحث الأول : الهوية والأنا :

الهوية هي بمثابة السلوكات المتماثلة التي يسلكها أفراد الجماعة و ردود أفعالهم و مواقفهم، فهي بمثابة الإسمنت الذي يربط أفراد الجماعة إلى بعضهم البعض و يمنع التفكك و التشرذم إذ تقوم على خلفية ثقافية مما يستدعي تثمين كل الزاد الثقافي الذي تملكه الأمّة ليكون مثل العنصر المؤسس للهوية .

فالأنا هو جزء من الهوية الذي يتلاءم مع الواقع و الهوية هي وحدة الأنا (الذات) و أسسها أي الأنا بكافة الأحوال و الأزمنة إذ أن الهوية تعتبر شعور عقلي وجداني يتحقق بتحقق الذات .

و من هنا نركز على العلاقة المتينة بين الهوية و الأنا إذ أن الهوية إحساس وجداني تكمن حقيقتها في الأنا و لا يكون يشوبها أي تغير مهما اختلف الزمن و لا انفصام مهما تغير المكان ، فالهوية أمر ثابت مرسخ مطلق و ليس نسبي أي لا يحتمل التغير [1] .

" تتجسد الهوية في رواية "نوار الملح" من خلال ما نلاحظه في كل صغيرة و كبيرة حول القضية التي كانت تراود " أندريه " طوال خمسين سنة"[2]، و ذلك عبر ما نلاحظه في اندهاشه لما رأى علم الجزائر يرفرف و كأنه يراه أول مرة و تذكر كم كان هذا العلم يسبب الرعب له و لغيره من المارين، و عليه فالهوية من منظور " أندريه " كانت ضبابية و غير واضحة المعالم ذلك أنه هو نفسه لا يعرف ذاته ، فهو لا زال يعتبر الجزائر بلده ذلك البلد الذي تركه قبل خمسين سنة.

حيث بقيت ذكرياته الجميلة عالقة في ذاكرته، ذلك أنه لا يزال متمسكا بالشخوص التي عرفها و عايشها في الماضي، ضانا أن كل الأمور لا تزال على حالها كما ألفها في عهد الإستعمار .

---

[1] مولاي بن النكاع، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، أطروحة دكتورة، إشراف بن ذهيبة، كلية الآداب و اللغات، قسم الفنون الدرامية، جامعة وهران، 2012-2013، ص: 5 .

[2] عبد الغني زهاني، نوار الملح، الجزائر تقرأ، ط1، 2017، ص: 30.

و عندما وطئت قدماه الجزائر كانت الصدمة حيث وجد مدينته " الجامعة " التي تركها قبل خمسين سنة متغيرة تغييرا جذريا.

" فوقف طويلا أما باب المحطة محاولا إسترجاع صورة المدينة التي تركها منذ نصف قرن، كانت ملامح الشارع الرئيسي ما تزال ظاهرة، لاحت له دار المعمر ريشار و ما يزال جزء كبير كما هو ... "[1].

أما الأنا فقد عرفت منذ القدم إهتمام متزايدا و كبيرا من قبل الفلاسفة و المفكرين اليونان و بعد ذلك حظيت بدراسة أو بالأحرى دراسات متراكمة في عصرنا الحالي، إلا أن مفهوم الأنا يختلف بإختلاف أراء و أفكار كل منظر من هؤلاء المنظرين فالذات لا معنى لها سوى أنها مقابل للآخر تعارضه أو تضّاده أو أنها المطابق لنفسه المعبر عنها .

بالتالي فالأنا أو الذات هي النفس البشرية لما تحمله و تملكه من مميزات و مظاهر ثقافية نفسية، إيديولوجية، و ما تحتويه من أفكار و صراعات و توترات، أي أنها مركز الشخصية من نفس الفرد الإنسانية فهي تنمو و تفصح عن قدراتها من خلال البيئة المحيطة و الوسط الإجتماعي .

و بالتالي فإن الأنا تبرر منذ الوهلة الأولى من ثقافتها و لغتها و ديانتها و بكل ما يحيط بها في الوسط الذي تعيش فيه [2].

الأنا في هذه الرواية فكانت متمثلة في ذات أندريه المزعزعة و المتخوفة من الحقيقة لتعلقها بالماضي المنصرم الذي كان يمثل أيام مجد و رخاء لأندريه و دولة فرنسا، فكانت شخصية أندريه متوترة لا تعرف ما تريده و كل ما جذبها إلى الجزائر مرة ثانية هو الحنين إلى شخص زهية التي لا يعرف عنها أي شيء سوى أنه التقى بها اليوم واحد، لكنه على الرغم من السنين التي مضت إلّا أن زهية ما زالت عالقة في ذهنه و أبرز ما يؤكد هذا هو

---

[1] عبد الغني زماني: نوار الملح، ص:31.

[2] محمد العابد الجابري، الإسلام و الغرب، الأنا و الآخر، سلسلة فكر و نقد، الشبكة العربية للأبحاث، الكتاب الأول، 2009، ص: 21 .

قطعه لتلك المسافات و زيارته لبلد لا يزال ناقما عليه و على بلده، هذا بالإضافة إلى أنه لا يعرف إن كانت زهية حية أو ميتة .

و كمثال على ذلك قوله بلهجة ركيكة : " زهية حية "[1].

و عاد " أندريه " ليطرح السؤال مرة أخرى " لها ولد ؟ "[2] .

و من خلال ما سبق يمكن القول يأن شخصية " أندريه " موهومة بالماضي و متخوفة من الحقيقة، و ذلك أنه لا يزال يتذكر و يبحث عن نفسه في مجتمع يعتبره مجرد مستعمر غريب عنه ، كما لا يزال متأملا في إيجاد حبه الضائع و معرفة ما حل به.

[1] عبد الغني زهاني، نوار الملح، ص: 33.

[2] المصدر نفسه، ص: 34.

المبحث الثاني: الأنا و الآخر

ظهر مصطلح الأنا في علم النفس بمعنى " النفس " إذا نجد ذلك عند كثير من الفلاسفة من الفلاسفة معلى رأسهم ديكارت الذي ربط بين الأنا فكر والأنا وجودا بقوله " أنا أفكر إذن أنا موجود "[1].

ديكارت يرى الفكر مرتبط بالوجود فكوننا موجودين يعني أننا دائما نفكر في صحة لأشياء من حولنا .

حمل مصطلح الأنا عدة معان تتمثل في :

المعنى النفسي الأخلاقي :"تشير كلمة أنا " في الفلسفة التجريبية الى الشعور الفردي الواقعي ، فهي أيضا تطلق على وجود تنسب إليه جميع الأحوال الشعورية "[2].

إضافة إلى المعنى المنطقي : "يركز على وحدته وهوية شرطان ضروريان يتضمنهما التركيب المختلف "[3]

يركز العلماء في تحليهم لمفهوم الأنا على الجانب الشعوري إذ رأو " أن السلوك له دافع داخلي من قوى لا شعورية تكونت عبر تاريخ الشخص وخاصة من خلال علاقته بوالديه "[4].

ونعني بذلك أن "كل ما ينتج من سلوك من قبل شخص ما ، ما هو الا فعل ناتج عن الجهاز النفسي المكون من ثلاث أقسام وهي الهو ، الأنا (الضمير) ، والأنا الأعلى (المجتمع) فالهو هو مركز الدوافع والرغبات ، والأنا يتفاوض مع "الهو " يرضي الأنا الأعلى ،أما الأنا لأعلى فهو الذي يبقينا على الصراط المستقيم الأخلاقي"[5]

---

[1] يوسف الحداد عباس ، لأنا في الشعر الصوتي ، دار الخوار لنشر ، ط2 ، سوريا ، 2009 ، ص : 187.

[2] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، د ط ، 1982 ، ص: 140

[3] المرجع نفسه، ص141.

[4]مأمون صالح ، الشخصية ، دار أمامة ، ط1 ، عمان ، الأردن ، 2008 ، ص: 21 .

[5]سوسن زاني ، لأنا في رواية التلميذ والدرس لمالك حداد ، مذكرة ماستر ، كلية الأدب واللغات ، قسم أدب حديث ومعاصر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2015-2016 ، ص:24.

ومن هنا يمكن اعتبار "الأنا" بمثابة الضابط الخلقي للطرد فاكل الميولات التي تنطلق من الهو تمر على الأنا فلأنا محور الحكم والسلامة.

الآخر مصطلح لم يستقر على مفهوم واحد فقط منذ نشأته إلى غاية العصر الحديث وهذا حسب اختلاف المدارس ،والرؤى ولأفكار والمذاهب الفلسفية ، حيث " ظهر مصطلح الآخر في بداياته عند اليوناني سواء كانوا في الشمال أي في العمق الأوروبي أو في قارتي إفريقيا و آسيا بهدف التمييز بين اليوناني المتحضر وغيره المتخلق "[1].

أما في الفلسفة المعاصرة فقد شاع هذا المصطلح كثيرا "عند الفلاسفة الفرنسين أمثال جان بول سارتر ، ميشال فوكو، جان لا كان ،إيمانويل ليفنياس ولعل سمه الآخر المائزة هي تجسيده ليس فقط كلما هو غريب (غير مألوف)أو ما هو غيري بالنسبة للذات أو الثقافة ككل "[2]

وعليه يعد الآخر متغير في سمته بالنسبة لذات فهو غيري.

وهناك من يعور لنا لآخر علىّ أنه " جزء من سوء التفاهم الاجتماعي والثقافي إذا أن تقديم صورة الآخر يخضع لنوع معقد من الخيار الفكري المختلط بالمشاعر "[3]

تعد قضية الأنا و الآخر من أهم المواضيع التي تطرقت لها الرواية الجزائرية و جعلتها مادتها الخام التي تركز عليها في معظم الأعمال الروائية، إذ نجد الأنا هو الجوهر الثابت و الآخر هو المتغير الذي تنسب له جميع الأقوال الشعورية و الأحاسيس و العواطف و الأفكار .

فالأنا هي الجانب الأساسي لفهم سلوك الإنسان إذ يمثل الآخر عاملاً فعالاً في تكوين الذات بناءً على الطرف الآخر فهذا الوضع يجعل الكينونة تتعرف بسببه على الآخر.

---

[1] عبد الله بوقرن ، الآخر في جدلية التاريخ ، أطروحة دكتورة ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علوم الفلسفة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2006-2007 ، ص : 09.

[2] المرجع نفسه ، ص : 09.

[3] ماجد حمود ، مقاربات تطبيقية في الآدب المقارن ، إتحاد كتاب العرب ، د.ط ، سوريا ، 2002 ، ص : 250.

و من خلال ما نراه من علاقة بين الأنا و الآخر يتحدد حسب الذات مما يجعل الآخر مختلف عن الأنا و لهذا لا يمكن أن نحدد الآخر في صورة واحدة فهو يختلف عن الأنا و أن الذات و الآخر مرتبطان لا يمكن الفصل بينهما، فهما متلازمان رغم طبيعة العلاقة التي تجمعهما [1] .(إنفصال / تواصل) .

تعتبر الأنا بمثابة الروح التي تعمل مع الآخر و تعد أيضاً من أهم الموضوعات التي شغلت عالم الفكر و مثلت محور و مدار اهتمام أكثر الدارسين هو الأنا و الآخر, ذلك أن " صورة الذات لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر كما أن صورة الآخر تعكس بمعنى ما صورة الذات " [2] .

و جاء في لسان العرب أن كلمة " أنا " هي " اسم مكنى و هو المتكلم وحده، و إنما بني على الفتح فرقا بينه و بين أن التي هي حرف نصب للفعل أما الألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف " [3] .

و جاء في تعريف آخر " الأنا ضمير رفع للمتكلم و الأنانة قولك أنا " [4] .

فالآخر دائما المؤثر في الأنا بطريقة أو بأخرى لأن قضية " الأنا و الآخر " من أهم المواضيع التي تطرقت إليها الرواية الجزائرية و جعلتها مادتها الخام التي تركز عليها في معظم الأعمال الروائية .

إذ نجد أن الآخر " هو المتغير الذي تنسب له جميع الأقوال الشعورية و الأحاسيس و العواطف و الأفكار، و هو الحقيقة الذاتية القائمة بذاتها، إذ يمثل الآخر عاملاً فعالاً في تكوين الذات بناء على الطرف الآخر [الأنا] هذا الوضع يجعل الكينونة تتصرف بسبب الآخر ." [5]

---

[1] سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث للنشر، الأردن، ط 1، 2009، ص: 1 .

[2] عبد القادر شرشار، الآخر في الرواية المعاصرة، المجلة الخلدونية، العدد التجريبي، نشر إبن خلدون، تلمسان، 2005، ص:147 .

[3] إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، 1968م، ص: 73 .

[4] لويس معلوف، المنجد في اللغة و الإعلام، دار المشرق، لبنان، ط 31، د.س، ص19 .

[5] محمد العابد الجابري ، الإسلام والغرب –الأنا والآخر– ، سلسلة فكر والنقد، الشبكة العربية للأبحاث، 2009، ص: 21.

و من خلال ما نراه من علاقة بينهما " لا يمكن أن نحدد الآخر في صورة واحدة فهو يختلف عن الأنا و أن الذات و الآخر مرتبطان لا يمكن الفصل بينهما، فإنهما متلازمان رغم طبيعة العلاقة التي تجمعهما (إنفصال / تواصل)، و أن استبعاد لواحد منهما يعني موت أحدهما " [1].

و جاء في تعريف آخر في علم النفس" الأنا يتمثل في بنية الجهاز النفسي مجموعة من الدوافع و الأفعال التي تهدف إلى تكييف جسم الإنسان مع الواقع و مراقبته وصول الحوافز إلى الشعور و الحركة "[2].

و مما سبق نستنتج أن العلاقة بين الجماعات البشرية المختلفة إنما تتسم "بتأزم و ذلك لاختلاف مصالحها و مطامعها و نزعة الناس العدوانية كتأزم الوضع و تنشأ الخِلافات و النزاعات المسلحة و الحروب أو السلام و الأمان أو تكون علاقة عدائية فتجعل الذات أو الأنا منغلقة على نفسها ترفض كل ما يتعلق بالآخر"[3].

و هناك قد تكون العلاقة بين الأنا و الآخر منفتحة عنه و تقتحم عالمه المختلفة " الانفتاح على الآخر و فتح كل الأبواب أمام حضارته و ثقافته يؤدي إلى الانسلاخ عن الهوية الأنا"[4].

تتجلى ملامح الآخر في رواية نوار الملح في كل من المجتمع الجزائري و المستعمر أما الآخر في المجتمع الجزائري فيتمثل في شخص " زهية " باعتبارها مصدر لحقيقة مجهولة جاء من أجلها أندرية، إضافة إلى " عيسى " الذي كان ضمن الثوار ذلك أنه ترك والدته و زوجته و التحق بالثورة، حيث رهن حياته من أجل الوطن، إضافة إلى " سي مبروك

---

(1) سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، عالم الكتب للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2009، ص: 10.

(2) عبد المجيد سالمي، معجم المصطلحات، علم النفس، دار الكتاب، القاهرة، د.ت, د.ط، ص: 37.

(3) واسيني الأعرج، جدلية الأنا و الآخر في رواية كتاب الأمير،(مسالك أبواب الحديد مقاربة في التلقي و التأويل)، صارة شاوش، شهادة ماستر، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2009، ص: 41.

(4) المرجع نفسه، ص: 41.

" الذي كان صديق أندريه و عميل للمعمرين ناهيك عن الشخصية اليهودية التي تمثل الآخر المدافعة على الجزائر المتمثلة في " شاؤول "[1] .

إذ تتمحور شخصية الآخر أيضا في شخصية " سي المختار " الذي كان عدوا من رحم الجزائر و كان ضد المجتمع الجزائري وصفا لصف مع المعمرين أمثال " موريس " الذي كان نائب " الحزب الشيوعي الفرنسي" [2].

و تتمثل أيضاً في عدة شخوص نذكر منها " موريس لبا " الذي كان حاقد للجزائر و يكيد لها العمائل، إضافة إلى " مارك " الذي دهس بسيارته مسعود و قتله.

بالإضافة إلى شخصية " ريمون " الذي كان كولونيل قاسي و عنيف مع المجتمع حيث قال " أنا أطرح سؤالاً واحدا أتلقى جوابا واضحا أو أفتح باب الجحيم " [3].

و في الأخير كانت صورة الآخر مختلفة بالقياس إلى "أندريه"، ذلك أننا نجد الآخر المتمثل في شخصيات المجتمع الجزائري، منهم من أعجب بالمعمر مثل " سي مبروك " الذي أصبح صديق أندريه، و "عيسى" الذي حمّل أندريه مسؤولية تعاسته.

---

[1] عبد الغني زهاني، نوار الملح، ص: 58.

[2] عبد الغني زهاني، نوار الملح، ص: 58.

[3] المصدر نفسه، ص: 58.

المبحث الثالث: الأنا والمجتمع:

حظيت الرواية في الآونة الأخيرة باهتمام كبير لدى النقاد و الدارسين و الباحثين في المجتمعات المثقفة في كافة أنحاء العالم، و لعل مرّد ذلك إلى أن الرواية بعد أن كانت لقرون عديدة وسيلة للتسلية و الترفيه و قضاء الوقت تحولت في أواخر القرن 19 و القرن 20 إلى أداة فنية للوعي بمصير الإنسان وسلوكاته و الواقع اليومي الذي يعيش فيه المجتمع و القضايا و التحولات التي تحدث في حياة الفرد و الجماعة و تتزايد أهمية الرواية سنة بعد سنة بفضل صياغتها الفنية و الغواية المضمونة .

و لكونها مرآة المجتمع بكل تفاصيله المرضي عنها و المسخوط عليها، التي قد يتعسر التعرض لها على الخطابات الأدبية الأخرى هي انعكاس للمجتمع وواقعه المعيش من خلال رصد التحولات الاجتماعية و التغيّرات الثقافية و تطورات البيئية المعيشة و انعكاساتها في حياة الفرد و المجتمع و أنماط التفكير و سلوكات التعبير عن المجتمع و قيمه و تقاليده و معالجة قضاياه و اقتراح حلول لمشكلاته حسب رؤية الروائي [1].

و عليه فهناك عدة شخوص مثلت المجتمع في رواية نوار الملح ل : عبد الغني زهاني و من هنا نشتق الفئات الاجتماعية و الدور الذي لعبته في الرواية.

أ- المعمرين :

لقد صور لنا الروائي هذه الفئة من المجتمع أنهم قساة ناقمين على الشعب الجزائري، حيث اعتبروا الجزائر جزءا من فرنسا و منهم " أندريه " باعتباره أحد أبناء المعمرين كان يعيش حياة مجد و رخاء و كان نديم لبعض الشخصيات مثل " سي مبروك ".

كما نجد شخصية أخرى من المعمرين ممثلة في " مارك " ابن الفرنسي " ريشار " الذي دهس بسيارته مسعود و قتله.

---

[1] خالد خليفة، صورة المجتمع في رواية لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، شهادة ماستر، بوزيد رحمون، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016-2017، ص:5.

شخصية " لالو " والد "أندريه" الذي كان سليطا و متشددا إضافة " ريمون " الذي كان كولونيل قاس على المجتمع الجزائري إبان الثورة حيث قال " أنا أطرح سؤالاً واحداً أتلقى جواباً واضحاً أو أفتح باب الجحيم "[1].

ب _ المرأة :

أعطاها الروائي مساحة كبيرة كونها الوحيدة التي حاولت تخطي واقع المجتمع الجزائري إبان الثورة من أجل تحقيق رغباتها، رافضة البطش و الكبت التي كانت تعيشه من كل النواحي و من أبرز الشخصيات نذكر " زهية " مثلت دور المرأة المهجورة الطموحة و القوية المحبة كونها أحبت زوجها " عيسى " و أخلصت له عند تلبيته لنداء بلده في الثورة. فحمّلت على عاتقها مسؤولية و رعاية نفسها و أمها المريضة " نجمة " ووالدته " حدة ".

" فكانت تنتقل " زهية " كآلة فيه بين غرفتها و المطبخ بدأ الزاد ينفذ لولا التمر المحشو في أكياس من الخريف كان يعده السي الطيب للأيام الصعبة " [2].

ج- الأم :

كانت الأم تمثل دور الصعاب و العطاء في فترة الاستعمار في هذه الرواية و نذكر من الشخصيات "حدة" كانت حزينة و مكتئبة على ابنها و متخوفة عليه لما قد يتعرض له من طرف الاستعمار فعملت على تزويجه "إلا أن فرحتها لم تكتمل لأن ثاني يوم صعد مع إخوته الثوار و بقيت تتجرع الألم"[3] .

إضافة إلى " نجمة " هذه الشخصية التي مثلت دور الأم الحنون التي تعطف على ابنتها و تحاول أن تخفف عنها أعباء الحياة إلا أن العمر تقدم بها و أصبحت لا تقوى على مساندة ابنتها الحامل، رغم ذلك مثلت شخصية الأم المكافحة من أجل عائلتها و تحسين أوضاعهم، فكانت مثال الأم الصابرة و المحبة .

---

[1] عبد الغني زهاني، نوار الملح، ص: 58.
[2] المصدر نفسه، ص: 65.
[3] المصدر نفسه، ص: 96.

إلى جانب شخصية أخرى مثلت المجتمع الجزائري في الرواية نذكر " قمرة " التي مثلت دور الأم بالعاطفة و ليس دور الأم البيولوجية ذلك أنها اهتمت بابن صديقتها " زهية " الذي اسمه " لسعد " فكانت خير أم له احتضنته و قامت برعايته، فدور الأم هنا كان محمّلا ببعض التخوفات على الابن و ما قد يحل به في مجتمع كان في أصل رافضا لأبيه أندريه.

د _ الأب :

كان دور الأب هنا يتمحور حول شخصيتين رئيسيتين هما : " سي الطيب " و " لالو " فالأول مثل دور الأب الضعيف الذي يملك القوة إلا أنه يحرص على حماية ابنه الوحيد من المستعمر و الأب الثاني الفرنسي المتسلط و القوي الذي لا يملك مشاعر أبوية همه الوحيد الأمور المالية .

كشخصية " سي الطيب " كانت متدينة من أصحاب الحل و العقد في مدينة " جامعة "، كان يمثل الأب الذي يحرص على حماية ابنه من المستعمر، حيث حاول إبعاده عن المعمرين، فعمل على تزويجه ليستقر في حياته و يعينه في العمل على أعباء الحياة .

و مثال على هذا " كلما تشرق الشمس تجد عيسى مع والده في الحقل... منحدر نحو الوادي العسير حيث يستمران في العمل حتى الظهيرة "[1]

أما الشخصية الفرنسية المتسلطة التي كانت تمثل دور الأب أيضا هي " لالو " دائما يحاول فرض رأيه في حياة ابنه و قراراته حيث منعه من الزواج بالفتاة التي كان يحبها " رحيل " .

فقال : " أنت لن تتزوجها ستحتاج لبعض الوقت لنسيانها[2] " فكان لالو شخصية لا تضع الثقة في الثوار و الأهالي.

[1] عبد الغني زهاني، نوار الملح، ص: 17.
[2] المصدر نفسه، ص: 10.

خاتمة:

باعتبار الخاتمة تلخيصا لنتائج البحث المتوصل إليها من خلال تواشج التحليل بالوصف في ثنايا البحث الموسوم ب الوطن في الرواية الجزائرية رواية " نورا الملح " ل " عبد الغني زهاني " أنموذجا فإننا نثبت النتائج التالية:

1. لقد كانت الثورة الجزائرية و موضوع الوطن من القضايا الملهمة لكثير من الكتاب و المبدعين الجزائريين فقد ازدهر على أيديهم فن القصة و فن الرواية.
2. أن الرواية الجزائرية منحت بعدا إنسانيا و أولوية خاصة لمسألة الوطنية و الهوية الجزائرية و عدتها جزءا لا يتجزء من كيانها والتزمت بهما ما قدرت على ذلك و بالتالي فالرواية الجزائرية ولدت حاملة بذور الثورة و الحرية و مدافعة عن الإنسانية.
3. هيمنة المفارقات الزمنية في الرواية و تقنية الاسترجاع الأكثر بروزا فأغلب الرواية مسترجعة من الماضي.
4. تقوم الرواية على تناظر زمني بين حاضر و ماض، حاضر بطيء مثقل بالصمت و ماض حركي أحداثه متسارعة ترسم صورة الجزائر قبل و بعد الثورة.
5. التنويع في استخدام الشخصيات أساسا في توظيف شخصية رئيسية و هي الشخصية الفاعلة في الرواية و الشخصيات الثانوية التي لا تقل أهمية عن الشخصية الرئيسية.
6. التنويع في الأمكنة، بين أمكنة مغلقة و أخرى مفتوحة، إذ جاء المكان المغلق ليكشف عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية، أما المكان المفتوح فقد اتخذت الرواية منه منطلقا مكانيا للمقاومة و النضال من أجل تغيير الأوضاع و استرجاع الوطن المضطهد.

7. رواية " نوار الملح " هي رواية نمطية تبحث عن إشكالية الأرض و الانتماء و الهوية خلال فترة الاحتلال الفرنسي.
8. حاول الكاتب في الرواية معرفة كيفية تعايش المستعمَر و المستعمِر الدخيل المغتصب و صاحب الأرض المغتصب.
9. رواية " نوار الملح " ل " عبد الغني زهاني " لم تكن بالمستوى الجمالي و الفني المطلوب، إلا أنها كبداية لكاتب شاب تعتبر أرضية يمشي عليها لاستكمال مشواره الفني الأدبي.
10. جسدت لنا رواية " نوار الملح " مفهوم " الأنا " في شخص " أندريه " الموهوم بالماضي و المتخوف من الحقيقة.
11. تمثل مفهوم الآخر في رواية " نوار الملح " في كل من المجتمع الجزائري و المجتمع الاستعماري.
12. صور لنا " عبد الغني زهاني " (الأنا الدخيلة) المتمثلة في شخص " أندريه " و علاقتها بالمجتمع الجزائري و الذي طالما اعتبرها غريبة عنه.

ملحق:

التعريف بالروائي " عبد الغني زهاني"

حياته:

من مواليد 19 نوفمبر 1972 بمدينة جامعة بالوادي، حاصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي من جامعة قسنطينة سنة 1998، و شهادة الماجستير من جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر سنة 2014، يعمل أستاذ لغة بالطور الثانوي، و يدرس الأدب الصوفي حاليا بجامعة الجزائر، تحصل على الجائزة الوطنية الأولى للتأليف المسرحي ضمن جوائز " ابن شنب للآداب و الفنون " بولاية المدية.

مؤلفاته:

- تفاصيل الغواية (مجموعة شعرية)
- أوجاع الفرح 2015

و في الأخير نقول بأن الروائي " عبد الغني زهاني " روائي شاب و مغمور و تعتبر رواية " نوار الملح " أول منجز أدبي له.

البناء العام للرواية " نوار الملح "

رواية " نوار الملح " تعد أول عمل روائي للكاتب الشاب " عبد الغني زهاني" تحكي هذه الرواية عن رجل اسمه " أندريه "، الذي عاد ليحط رجليه على الأرض التي فارقها منذ ما يقارب خمسين عاما، كانت آخر مرة مشى فيها على تربة هذا البلد الذي كان يعتقده بلده يوما ما في أواخر 1962 أياما قليلة قبل الإعلان عن قيام دولة جديدة في شمال إفريقيا تدعى الجزائر، رغم أن ابنته " كارمن " أزعجته بتحذيرها و توصياتها الكثيرة بأنه يخاطر بالعودة لبلد طرد منه شر طردة، إلا أنه يؤمن بأن الماضي انتهى و لم يعد يشكل خطرا عليه و اعتبر أن القضية التي جاء من أجلها هي قضيته وحده و عليه إنهاؤها.

تعتبر قصة معمر فرنسي يعود للجزائر بعد 50 سنة على خروجه منها شابا يافعا ليعود لأجل قضية شخصية ببلدية " جامعة " بالوادي ليصدم في النهاية بالحقيقة الأليمة فلا الجزائر بلده و لا المرأة التي عاد لأجلها تنتظره.

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم

I. المصادر:

1- عبد الغني زهاني، نوار الملح، الجزائر تقرأ، ط1، 2017.

II. المعاجم

1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1957.

2- أبادي فيروز ، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8.

3- الجرجاني بن محمد ، تحقيق إبراهيم لأبياري ، التعريفات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1405 هـ ، ج1 .

4- الحمودي صبحي، المنجد في اللغة العربية، دار المشرق، بيروت، ط1، 2002.

5- سالمي عبد المجيد، معجم المصطلحات، علم النفس، دار الكتاب القاهرة، لبنان، د ط ، د ت .

6-صليبا جميل ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، د.ط، 1982 ،ج2 .

7- مختار أحمد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط 2008، المجلد 3 عبد الله العلائلي: مقدمات لفهم التاريخ العربي، د م، د ط، ص10.

8- مسعود جبران: الرائد معجم ألفبائي في اللغة و الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2005.

9- معلوف لويس، المنجد في اللغة و الإعلام، دار المشرق، لبنان، ط31، 1991.

10- محمد محمد داوود، معجم التعبير الاصطلاحي، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، د ط، د ت

III. المراجع:

أ- العربية:

1- بقاعي إيمان ، القيم الروحية و الإنسانية في شعر عبد العزيز محي الدين خوجة، قناديل للتأليف و الترجمة و النشر، لبنان،ط1 .

2- إبراهيم رزاق حسن: المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، د ط، 1984
3- بن جلولي عبد الحفيظ، الهامش و الصدى، قراءة في تجربة محمد مفلاح الروائية، دار المعرفة، الجزائر، د ط، 2008
4- بسيوني عبير رضوان، أزمة الهوية الثورية على الدولة في غياب المواطنة و بروز الطائفية، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2012.
5- بن عبد العالي عبد السلام ، أسس الفكر الفلسفي ، دار توبقال لنشر ، دار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1991 .
6-حمود ماجدة ، مقاربات ، تطبيقة في الآدب المقارن ، اتحاد كتاب العرب ، د.ط ، سوريا ، 2002 .
7- حبيلة الشريف، الرواية و العنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب للنشر، الأردن، ط1، 2010.
8- حنفي حسن حسنين، الهوية، دار الكتب و الوثائق القومية، القاهرة، ط1، 2012.
9- الدالي محمد، الأدب المسرحي المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1419-1999.
10- راغب نبيل: موسوعة الفكر الأدبي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، د ط، 2002
11- زاهر جمال: شعراء الواء الواء الدمشقي – دراسة فنية –، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط2007 2م12- صالح ياسمينة: بحر الصمت، دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
12- ساندي سالم أبو يوسف: الرواية العربية و إشكالية التصنيف، دار الشروق، عمان، ط1، 2008
13- الصالح محمد الصديق: شخصيات فكرية و أدبية، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط10.
14- صالح ياسمينة: بحر الصمت، دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

15- صالح مأمون ، الشخصية ، دار أمامة ، ط1 ، عمان ، الأردن ، 2008
16- طاهر سناء الجمالي: صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع عمان، ط2011، 1م.
17_ علي حرب ، التأويل وحقيقة، قراءة تأويلة في الثقافة العربية، دار التنوير لطباعة، بيروت، ط2 ، 2007 .
18- عقاق قادة: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، مطبعة اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، د ط، 2001 .
19- العابد الجابري محمد، الإسلام و الغرب، سلسلة فكر و نقد، الشبكة العربية للأبحاث، ط1، 2009.
20- علوش سعيد: الرواية و الايديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، بيروت 1983
21- عبد الله كاظم نجم: أيقونات الوهم، الناقد العربي و إشكالية النقد الحديث، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2001
22- فهد الذويخ سعد، صورة الآخر في الشعر العربي، عالم الكتب، الأردن، ط1، 2009.
23- قديد ذياب ، المتنبي بين الاغتراب و الثورة، عالم الكتب الحديث، لبنان، ط2011.
24-محمد رسول رسول ، محنة الهوية ، المؤسسة العربية بيروت ، ط1، 2002.
25- مسيهر خليل نوري ، الهوية الإسلامية في ومن العولمة ، دار الكتب العراقية ،بغداد ،ط1 2009
26 - مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009
27- حامد ممدوح محمود: الرواية و أثرها في النقد الأدبي، دار جليس الزمان للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2010
28- معتصم محمد: المرأة و السرد، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ط1 2004

29- محمد الميلي: ابن باديس و عروبة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007

30- محمد زايد رحمة: صورة المكان في شعر عز الدين المناصرة، دار الراية للنشر و التوسيع، عمان، ط2012

31- اسماعيل نوري الربيعي، التاريخ و الهوية إشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر، دار حامد، عمان، د ط، 2002

32- الهاني التهامي: الوطن و المرأة في شعر نزار قباني، دار صامد للنشر و التوزيع، ط2، 2004 .

33- يوسف ا الحداد عباس ،لأنها في الشعر الصوتي ، دار الحوار لنشر ، ط2 ، سوريا ، 2009.

ب- المترجمة

1- أمين معلوف، الهويات القاتلة ، ترجمة نبيل حسن ، دار الحصاد ، دمشق ، ط1 ، 1999 .

2-اليكس ميكشيللي، الهوية ، ترجمة علي وطفة ، دار الوسيم للخدمات الطباعية ، دمشق ، ط1 ، 1993 .

3- صن أمارتيا، الهوية والعنف ، ترجمة سحر توفيق، عالم المعرفة ، الكويت ، د.ط ، 2008

4-غاستون باشلار: جمالية المكانية، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت ط6 .

IV. الرسائل الجامعية

1- بن بوزة سعيد ، الجهوية و الاختلاف في الرواية النسوية، شهادة دكتوراه، إشراف الطيب بودربالة، كلية الآداب و اللغات، قسم الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2017-208.

2- بن نكاع مولاي، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب و الفنون، قسم اللغة و العلوم الإنسانية، جامعة سانيا، وهران، 2012-2013.

3- بوقرن عبد الله ، لآخر في جدلية التاريخ ، أطروحة دكتورة ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علوم الفلسفة ، جامعة منتوري، قسنطيبة ، 2006-2007.
4- خليفة خالد، صورة المجتمع في رواية السكاكين في مطابخ هذه المدينة، شهادة ماستر، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016-2017.
5-قرطي خليفة: المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، معهد اللغة و الأدب العربي، جامعة الجزائر، 94-95.
6- زناتي يوسف ، الهوية الثقافية في الموسيقى الجزائرية ، شهادة ماجستير ،إشراف أحمد أوراغي ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية ، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2009-2010 .
7-لعرج وسيني، جدلية الأنا و الآخر في رواية كتاب الأمير، شهادة ماستر، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2009-2010.
8-زاني سوسن ، الأنافي رواية التلميذ والدرس المالك ، حداد ، مذكرة ماستر ، كلية لأدب واللغات ، قسم أدب حديث ومعاصر ، جامعة محمد خضير ، بسكرة ، 2015-2016

V. المجلات:

1- باي عز الدين: خطاب الهوية في رواية ما لا تذروه الرياح، مجلة دراسات جزائرية، جامعة وهران، العدد 3، مارس
2- حنون عبد المجيد: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر
3- دادة موسى بلخير: أصداء المركز الجامعي ،تمنراست ، نشرية إخبارية ثقافية تصدر عن المركز الجامعي ، تمنراست، العدد 03، جوان 2012
4- شرشار عبد القادر، كتاب الآخر في الرواية المعاصرة، المجلة الخلدونية، العدد التجريبي، نشر ابن خلدون، تلمسان، 2005.
5- طحطاح فاطمة: الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب بالرباط، منشورات كلية الآداب بالرباط، ط1993.

VI. الملتقيات

1- الشريف محمد عباس: كفاح المرأة الجزائرية، دراسات و بحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، دار هومة، ط2، منقحة و مزيدة.

فهرس الموضوعات

شكر و تقدير	
إهداء	
مقدمة	أ–ج
مدخل إلى تحديد المصطلحات	05
ماهية الوطن و الوطنية	05
ماهية الهوية	09
الفصل الأول: صورة الوطن في رواية " نوار الملح " لعبد الغني زهاني	
المبحث الأول: صورة المدينة الوطن	19
المبحث الثاني: صورة الوطن الرمز	26
المبحث الثالث: صورة المرأة الوطن	30
الفصل الثاني: دلالة الهوية في رواية " نوار الملح " ل عبد الغني زهاني	
المبحث الأول: الهوية و الأنا	38
المبحث الثاني: الأنا و الآخر	41
المبحث الثالث: الأنا و المجتمع	46
خاتمة	**50**
قائمة المصادر و المراجع	**54**
فهرس الموضوعات	61